الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون
قسم الفنون

مطبوعة دروس خاصة بمقياس :

الأنثروبولوجيا

دروس موجهة إلى طلبة سنة أولى ماستر

تخصص نقد تشكيلي
السداسي الثاني

إعداد الدكتور:

◄ تربش عز الدين

السنة الجامعية
2024/2023م

مقدمة

تعدّدت الدراسات والاتجاهات التي تناولت الأنثروبولوجيا، في الآونة الأخيرة، بوصفها علماً حديث العهد، وما ساعد في انتشار هذا الاخير هي الرغبة الجامحة لدى الفرد من اجل تكوين صورة واضحة عن اصل نشأته و تطوره، ولقد اتّسعت مجالات البحث والدراسة في هذا العلم الجديد، وتداخلت موضوعاته مع موضوعات بعض العلوم الأخرى، ولا سيّما علوم الأحياء والاجتماع والفلسفة. كما تعدّدت مناهجه النظرية والتطبيقية، تبعاً لتعدّد تخصّصاته ومجالاته، ولا سيّما في المرحلة الأخيرة حيث التغيرات الكبيرة والمتسارعة، التي كان لها آثار واضحة في حياة البشر كأفراد و كمجتمعات . وبما أنّ الأنثروبولوجيا تهتمّ بدراسة الإنسان، شأنها في ذلك شأن العلوم الإنسانية الأخرى، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الإنساني الذي توجد فيه والذي تجد فيه ظالتها ، حيث تعكس بنيته الأساسية والقيم السائدة فيه، وتخدم بالتالي مصالحه في التحسين والتطوير والذي ينصب دائما في المصلحة العامة للإنسانية . ثمّة من يردّ بدايات تاريخ الأنثروبولوجيا إلى العصور القديمة، إلاّ أنّ الأنثروبولوجيين الغربيين، ولا سيّما الأوروبيون، يرون أنّ الأصول النظرية الأساسية لعلم الأنثروبولوجيا، ظهرت إبّان عصر التنوير في أوروبا (عصر النهضة الأوروبية)، حيث تمّت كشوفات جغرافية وثقافية لا يستهان بها، لبلاد ومجتمعات مختلفة خارج القارة الأوربية . والحقيقة كما يؤكدها التاريخ العلمي الموثق، أن النهضة العلمية الحديثة التي شهدتها أوروبا خلال العصور الوسطى المظلمة، كان الإيمان بالله هو محركها الأول، وكان روادها العظام يتمتعون بإيمان عميق بوجود قوة مطلقة عظمى تقوم على هذا الكون، فأعملوا عقولهم ومواهبهم في محاولة لاكتشاف حكمة الله وعظمته وتدبيرى، من خلال اكتشاف القوانين التي تسيّر الكون وتحفظه وتسخّره لخدمة البشر. وقد قدّمت هذه الكشوفات معلومات هامة عن

الشعوب القاطنة في تلك البلاد، أدّت إلى تغيّرات جذرية في الاتجاهات الفلسفية السائدة آنذاك، عن حياة البشر وطبيعة المجتمعات الإنسانية وثقافاتها وتطوّرها. وهذا ما أدّى بالتالي إلى تطوير المعرفة الأنثروبولوجيّة، واستقلالها فيما بعد عن دائرة الفلسفة الاجتماعية . لقد انحسرت الفلسفة – إلى حدّ ما – في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمام التفكير العلمي، حيث تطوّرت العلوم الاجتماعية واستطاع العالم البريطاني إدوارد تايلور **E.Tylor** أن يرى في تنوّع أساليب حياة الشعوب وتطوّرها، ظاهرة جديرة بالدراسة، وأنّ علماً جديداً يجب أن ينشأ ويقوم بهذه المهمّة. وسمّى **تايلور** هذه الظاهرة بـ" الثقافة **Culture** أو الحضارة . " **Civilization** ومع دخول الأنثروبولوجيا مجال القرن العشرين، بأحداثه وتغيّراته العلمية والاجتماعية والسياسية، طرأت عليها تغيّرات جوهرية في موضوعها ومنهج دراستها، حيث تخلّت عن المنهج النظري وأخذت بالمنهج التطبيقي باعتبارها ظاهرة علميّة، إضافة إلى تحديد علاقة التأثير والتأثّر بينها وبين منظومة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى. حيث أصبحت النظرة الشاملة تميّز المنهج الأنثروبولوجي، الذي يتطلّب دراسة أي موضوع – مهما كانت طبيعته وأهدافه– دراسة كليّة متكاملة، تحيط بأبعاده المختلفة، وبتلك التفاعلات المتبادلة بين أبعاد هذا الموضوع وجوانب الحياة الأخرى السائدة في المجتمع.

المحاضرة رقم 01

يجمع الباحثون في علم " الأنثروبولوجيا " عله أنّه علم حديث العهد، إذا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة والطب والفلك .. وغيرها. إلاّ أن البحث في شؤون الإنسان والمجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان، مذ وعه ذاته وبدأ يسعه للتفاعل الإيجابي مع بيئته الطبيعية والاجتماعية.

لقد درج العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان عبر التاريخ الإنساني، عله وضع نظريات عن طبيعة المجتمعات البشرية، وما يدخل في نسيجها وأبنيتها من دين أو سلالة، ومن ثم تقسيم كلّ مجتمع إلى طبقات بحسب عاداتها ومشاعرها ومصالحها. وقد أسهمت الرحلات التجارية والاكتشافية، وأيضاي الحروب، بدور هام في حدوث الاتصالات المختلفة بين الشعوب والمجتمعات البشرية، حيث قربت فيما بينها وأتاحت معرفة كلّ منها بالآخر، ولا سيما ما يتعلّق باللغة والتقاليد والقيم .. ولذلك، فمن الصعوبة بمكان، تحديد تاريخ معين لبداية الأنثروبولوجيا.

1- تعريف الأنثروبولوجيا:

1-1 لغة:

إن لفظة أنثروبولوجيا **Anthropology** ، هي كلمة إنكليزية مشتقّة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنثروبوس **Anthropos** ، ومعناه " الإنسان" و لوجوس **Locos** ، ومعناه " علم ". وبذلك يصبح معنه الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان[1].

1 - Nicholson , C , **Anthropology and Education** , Columbus, Ohio , 1968, p1 .

وبذلك يصبح معنه الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أو "دراسة الإنسان" والحقيقة أن ترجمة لفظ الأنثروبولوجيا إلى اللغة العربية أثبتت عدم جدواه وأتضح أنه أمر غير دال، لأّنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة. فهناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان، كالتاريخ، علم الاجتماع، علم النفس والبيولوجيا ... الخ. كل تلك العلوم وغيرها تدرس الإنسان. لهذا السبب آثر علماء الأنثروبولوجيا العرب الإبقاء عله تسمية العلم كما هي في لغتها الأصلية، دون ترجمتها.

هذا من حيث التسمية. أما من حيث موضوع العلم فإننا نجد من استعراض الدراسات الأنثروبولوجية في ماضيها وحاضرها أن رجال هذا العلم قد أخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مؤخذ الجد. و من هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان وأعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة شاملة للإنسان. ولهذا نقول إن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولا عله الاطلاق.

2-1 اصطلاحا:

ولذلك، تعرف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معينة .. ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاي محدداي؛ وهو أيضاي العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداي عله تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، لذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماي متطورا، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله[1].

1- أحمد أبو هلال، **مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية** ،المطابع التعاونية، عمان، 1974، ص09.

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضاي، بأنّها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاي[1].

كما تعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها " علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا " أي أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناي اجتماعيا بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين[2].

تعرف أيضا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا عله تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل ...

ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله... وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا، بأنها علم (الأناسة) أي العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة و يبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا.

تعرف الانثروبولوجيا بأنها علم شامل لدراسة الإنسان علم لا يكتفي بدراسة ناحية واحدة، أو مظهر واحد من نواحي مظاهر حياته المعقدة، كما هو شأن العلوم الاجتماعية.

1-علي عبد الله الجباوي، **الأنثروبولوجيا علم الأناسة**، منشورات جامعة دمشق- سوريا، 1997، ص09.

2- سليم شاكر، **قاموس الأنثروبولوجيا** ، جامعة الكويت، 1981.، ص 56.

الجزئية كالاقتصاد أو السياسة، أو يقتصر اهتمامه عله دراسة تكوينيه الفيزيقي فحسب، وانما يحيط بكل خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي السحيق، أو الماضي القريب أوفي الحاضر.

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية، وما إليها .. وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنّوعة التي تشمل : التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية[1].

وهذا يتوافق مع تعريف " تايلور " الذي يرى أن الأنثروبولوجيا : "هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان " إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية. وبهذا المعنه، تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلّق بالإنسان.

استنادا إلى ما سبق: الأنثروبولوجيا هي علم يدرس الانسان من كافة النواحي كما تدرس أيضا المجتمعات قديما وحديثا.

1- أحمد أبو زيد، **الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي**، منشورات مجلّة العربي، الكويت، 2001، ص 07.

المحاضرة رقم 02

3-1 الماهية التاريخية لاستخدامات الأنثروبولوجيا:

تعتبر الأنثروبولوجيا أكثر تعقيدا من السوسيولوجيا، بسبب تعدد الرؤى البحثية فيها وتنوع زوايا البحث في دراسة الإنسان. فالفيلسوف مثلا يجعل الإنسان أساس تفكيره وانشغالاته، والطبيب يفكر ويهتم بالأنثروبولوجيا الفيزيقية التي تختص بدراسة السمات الفيزيقية التشريحية والمرضية للأفراد من خلال العرق والجنس والوراثة والتغذية. أما السوسيولوجي، غالبا ما يميز بين الإثنوغرافيا التي تختص بالوصف الامبريقي لأفعال البشر وبين الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والتي تهتم بدراسة قوانين الحياة الاجتماعية وبين الأنثروبولوجيا الثقافية، والتي بدورها تعطي أهمية بالغة لعملية الانتشار الثقافي[1].

وهذا ما يفسر توسع الطموحات البحثية لهذا العلم والمختصين به، مما جعله في تداخل ملحوظ مع العديد من العلوم والفروع المعرفية، أهمها العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية.

واعتبارا بأن الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان وثقافته، فهي تهتم بدراسة الإنسان العاقل وأتباعه، لأن الإنسان هو نفسه عضو في الجماعة الإنسانية التي يقوم بدراستها، وقد يكون من الصعب عليه تحقيق الموضوعية ذاتها الموجودة في علوم الطبيعة. لكن يبقه شكل الموضوعية متجسدا بوضوح لدى المختصين بالدراسات الاجتماعية والإنسانية، وبصفة خاصة لدى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا.

1 - André Akoun et Pierre Ansart: **Dictionnaire de sociologie**, Coll ; Dixionnaire de Robert, édition Seuil, Paris-France, 1989., p29 .

ولقد استطاع العالم الإنجليزي هادون تتبع تاريخ استخدام اصطلاح الأنثروبولوجيا إلى الحضارتين الإغريقية والرومانية. فقد لاحظ أن الفيلسوف أرسطو قد استخدم هذا الاصطلاح للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه. لكن هذا المعنه يختلف حاليا عن المعنه الحديث للاصطلاح. وفي عام **1501**م، استعمل هذا الاصطلاح كعنوان لكتاب المفكر هوندت الذي تكلم فيه عن خصائص جسم الإنسان من الناحية التشريحية. كما ظهر هذا المصطلح سنة **1533**م في كتاب الأنثروبولوجيا للمفكر كابالا، والذي درس فيه الصفات الشخصية الفردية. وفي عام **1655**م، ظهر هذا الاصطلاح لأول مرة في اللغة الإنجليزية في كتاب "أنثروبولوجيا–مجردة" والذي اختص موضوعه بالطبيعة البشرية في علم النفس وعلم التشريح، وهكذا تدريجيا، انتشر هذا الاصطلاح إلى أن أصبح له مفهوم واضح في القرن التاسع عشر ميلادي[1].

وكما سبق، فإن الإنسان هو الذي يحدد موضوعات هذا العلم بعيدا عن مؤثرات الزمان والمكان، لكن اتساع مجال النشاط الأنثروبولوجي قد زاد من صعوبة التحكم في هذا العلم وتحديد موضوعه بدقة. حيث نجد أن الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، تشارك علم الاجتماع في العديد من المواضيع والقضايا، مما يصعب التمييز بين العلمين، بل يرى المختصين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، أن ما يسمه بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ما هو في الحقيقة إلا علم الاجتماع ولكن بتسمية مغايرة[2].

4-1 مفاهيم ذات صلة:

1-عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار المعارف، القاهرة مصر، 1975، ص 11، 12.

2- - جمال معتوق، **الفروع والمداخل النظرية للأنثروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة مصر، 2016، ص 17، 18.

1-4-1 الإثنوغرافيا:

للإثنوغرافيا (**Ethnography**) تعريفات متنوعة نذكر منها ما يلي:

- تمثل فرعا من البحث الأنثروبولوجيا بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات العرقية. تجمع هذه الدراسات بدرجات متفاوتة بين عناصر وصفية وأخرى تحليلية، ولكن السمة الأساسية للإثنوغرافيا التقليدية تتمثل في أنها تركز عله ثقافة أو مجتمع معين، وتبحث عن تعميمات نظرية أو مقارنة من وجهة نظر المثال الإثنوغرافي. ويعود أصل البحث الإثنوغرافي الحديث إلى مالينوفسكي، الذي ركز – كجزء من نظريته الوظيفية في المجتمع – عله أولوية البحث الميداني والملاحظة بالمشاركة وإلى بواس (**Boas**) الذي ناهض – مثل مالينوفسكي – التاريخ التأملي لنظرية التطور ودعا إلى الوصف الدقيق لثقافات معينة
- الناسوت (الاثنوغرافيا): إن الناسوت يكاد يكون موضع اجماع بين الدارسين. فالناسوت هو الجزء الوصفي من النياسة (**ethnos**) قوم، ناس (**graphien**) وصف، وهو يتخذ في كثير من الأحيان صيغة الأدروسة (المونوغرافيا) التي تتناول جماعة مجتمعية معينة، أو مؤسسة تضم عدة جماعات (تقنيات، زواج، عبادة دينية ...) و يعتبر ليفي–ستروس أن الناسوت هو المرحلة الأولى من العمل، مرحلة جمع المعطيات. وهي مرحلة تستوجب القيام عادة بتحقيق ميداني قوامه المعاينة المباشرة.

- الناسوت: أما **راد كليف–براون** أحد مؤسسي المدرسة الانجليزية فيرى أن الناسوت هو فوق ذلك "معاينة الظاهرات الثقافية ووصفها خاصة عند الشعوب المتخلفة".
- وتعتمد الدراسات الإثنوغرافية ... في دراسات الإنسان، إذ تعبر الحدود الفاصلة بين التخصصات وتحشد الطاقات العلمية والبحثية المتنوعة، ملقية الضوء عله كل ما يحيط بالإنسان من ظروف، وعله تفاعله مع هذه الظروف وما أحدثه من تغيرات مادية ملموسة أو معنوية أوقيمية مجردة في بيبته، كما تدرس البيبة الجغرافية والطقس ووسائل العيش والتكنولوجيات المحلية والفلكلور والأساطير وألعاب الأطفال وعلاقة القرابة.

إذن فالإثنوغرافيا وصف للظاهرة الأنثروبولوجية ومختلف أبعادها تمهيدا لتحليلها.

1-4-2 الإثنولوجيا:

للإثنولوجيا **(Ethnology)** تعريفات متنوعة نذكر منها ما يلي:

- هي الدراسة التاريخية والمقارنة للثقافات أو الشعوب، تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها كماعرفها علم الإثنولوجيا السوفيتية أو الأوروبية. وقد عرف "كروبر" ميدان دراسة الإثنولوجيا بأنه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا. بينما ميز "**راد كليف براون**" الإثنولوجيا، التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب، عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية. ويستخدم مصطلح الإثنولوجيا بدلا

من مصطلح الأنثروبولوجيا في عديد من الدول الأوروبية، وخاصة دول شرق أوروبا، حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك "علم عام لدراسة الإنسان،" بدون الدراسة التاريخية والميدانية للثقافات الجماهيرية – والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.

- كلمة النياسة (اثنولوجيا): حدد "**مارسيل غريول**" النياسة، في الخمسينات، عبر محاضراته أولا ثم في كتابه "منهج الناسوت" بؤنها الفرع المعرفي الذي يحيط بنشاطات الشعوب المادية والروحية ويدرس تقنياتها وأديانها وشرابعها ومؤسساتها السياسية والاقتصادية وفنونها لغتها وأعرافها.

إذن فالإثنولوجيا هي الدراسة التاريخية والمقارنة للمجتمعات ومختلف نشاطاتها.

1-4-3الأركيولوجيا:

للأركيولوجيا(**Archaeology**) تعريفات متنوعة نذكر منها ما يلي:

- الأركيولوجيا:" هي كلمة مشتقة من الكلمتين اليونانيتين (**Archais**) و (**Logos**)الأولى تعني قديم أو عتيق بنما تعني الثانية علم أو دراسة ومن هنا أته تفسير أركيولوجيا بؤنه العلم الذي يقوم بدراسة المخلفات العتيقة.
- هي مدخل في علم الآثار أرسه دعابمه "لويس بنفورد (**Lewis Binford**) " الذي يؤكد عله ضرورة المعالجة الجادة للمادة الأثرية وترتيبها التاريخي من ناحية، استخدام هذه المادة العلمية –من ناحية أخرى – في صياغة الفروض حول التطور الاجتماعي الثقافي الإنساني واختبارها. وهكذا تتجه الأركيولوجيا

الجديدة نحو الاقتراب شيبا فشيبا من اهتمامات الأنثروبولوجيا، وترتبط بالنظريات الأنثروبولوجية للتطور الاجتماعي الثقافي للإنسان.

- علم الآثار أو الأركيولوجيا: هي البحث في القطائع والانفصالات في التاريخ بواسطة منهج يعتمد عله مجموعة من القواعد والمعطيات والخطابات المتميزة...وماهي في الأكثر أو الأقل إلا إعادة الكتابة: في شكلها الخارجي إنها تغير منظم لما كتب سابقا.

إنها ليست العودة إلى سر الأصل بل بالعكس انها وصف منظم، منهجي ومنسق لما يسمه الخطاب- الموضوع– عله سبيل المثال: ان لوحة الموناليزا تمثل موضوعا في علم الحفريات، وخطابها الأركيولوجي هو البحث في رموز الوجه و تقاسيمه، شكل الألوان وخصوصا ولماذا رسم "ليوناردو- دافنتشي" بلون دون لون آخر؟ ولماذا جعل من الموناليزا مبتسمة ومكتئبة في الوقت نفسه؟.

إذن: الأركيولوجيا هي الخلفية الماضية المادية وغير المادية التي أسست للمجتمعات الحالية.

المحاضرة رقم 03

1- نشأة الأنثروبولوجيا:

قسم توماس بنيمان **T. penniman** (وهو انجليزي) تاريخ الأنثروبولوجيا إلى خمس مراحل وفترات رئيسية إذ يعتبر بنيمان الأنثروبولوجيا قبل عام **1835**تقريبا قد مرت بمراحل تمهيدية منذ العصور القديمة، فالأنثروبولوجيا لم تبرز كفرع جديد للمعرفة في نظره إلا من خلال الفترة من عام **1835**حته **1859**، أما خلال الفترة **1859** إلى **1900** أي إبان نصف قرن تقريبا -عله حد تقسيمه- فقد تأسست الأنثروبولوجيا كعلم أكاديمي، تلي ذلك المرحلة ال ا ربعة مع أوائل القرن العشرين واستمرت حته منتصف الثلاثينات **(1935)** وفيها مرت الأنثروبولوجيا بمرحلة التأصيل، أما المرحلة الخامسة التي بدأت منذ عام **1935**حته نهاية الخمسينات تقريبا فهي ولا شك مرحلة التدعيم والتثبيت لعلم الأنثروبولوجيا وتخصصاته المتعددة، كما قسمت الأنثروبولوجيا وفق نشأتها وتاريخ تطورها إلى ثلاث مراحل حسب العصور التي وجدت فيها اللبنات الأولى لمفهوم الانثروبولوجيا عله النحو التالي: الأنثروبولوجيا في العصر القديم؛ الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى؛ الأنثروبولوجيا في عصر النهضة[1].

1-1 الأنثروبولوجيا في العصر القديم:

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا، عله أن الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام **1493** قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حالياً) بهدف التبادل التجاري،

1-عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان"الأنثروبولوجيا"**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2004، ص19.

تعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب. وقد كانت الرحلة مؤلّفة من خمسة مراكب، عله متن كلّ منها **31** راكباً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور .ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا. وتأكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري، استقبال ملك وملكة بلاد بونت لمبعوث مصري[1].

1-1-1 عند الإغريق (اليونانيين القدماء):

يعد المؤرخ الإغريقي (اليوناني) هيرودوتس **Herodotus** الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان رحالة محبا للأسفار، اول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة لك ولذ وجود تنوع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي (السلالية والثقافية واللغوية والدينية، يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، فهو أول قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عند عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية (حوالي خميس شعبا)، حيث تناول بالتفصيل تقاليد هم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية[2].

كما تناول أفلاطون (**347–428**ق.م) دراسة السلالات البشرية وتقسيم المجتمع إلى طبقات، طبقة الفلاسفة وطبقة الجند وطبقة العبيد، كما تحدث عما يجب أن يكون عليه مجتمع أثينا في كتابه "الجمهورية"،**1**وبالرغم من الطابع الفلسفي لكتابات أفلاطون والتي تناقض ما تتجه إليه الدراسات الأنثروبولوجية السوسيولوجية من دراسة ما هو قائم، لا ما يجب أن تكون عليه الأمور، فإن فضل الفكر الفلسفي اليوناني خاصة عند كبار فلاسفتهم،

1- Mauduit , J.A , **Manuel D' Ethnographie**. Payot, Paris . 1960, p 18 .

2 عيسى الشماس، **مرجع سابق**، ص12.

لا يمكن التقليل من شأنه أبدا وذلك لأن فلاسفة اليونان أخذوا من الحضارات القديمة وامتزجت فلسفتهم بها مثل الحضارة المصرية[1].

لقد انغمس أرسطو بدوره في التأملات الفلسفية عن طبيعية الجنس البشري، وفي الأنثروبولوجيا الفلسفية الخاصة به يناقش الاختلافات بين البشر والحيوانات عله وجه العموم ويستنتج أنه رغم وجود حاجات مشتركة بينهم وبين الحيوانات، فالإنسان وحده هو الذي يحظى بالعقل والحكمة والأخلاق، لقد دفع بأن البشر في الأساس اجتماعيون بطبيعتهم[2].

1-1-2 عند الرومان:

امتد عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه ليونانيون من مسائل وأفكار لكنهم وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس، ومع ذلك لا يجد لأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصلية في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافاتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات[3].

ونستثني في ذلك أشعار كاروس لوكرتيوس(**Lecretuis**) (**98-55** ق.م) التي احتوت عله بعض الأفكار الاجتماعية إلمامة كفكرة التطور والتقدم، حيث تحدث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي، ونشأة اللغة ونظامي الملكية والحكومة إلى جانب مناقشته للعادات بعض

1- حسين فهيم، **قصة الأنثروبولوجيا**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.ص 38.

2- توماس هيلاند اريكسن، **مفترق طرق الثقافات : مقالات عن الكريولية**، ترجمة محيي الدين عبد الغني، لمركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012.ص 16.

3- عيسى الشماس، **مرجع سابق**، ص 21.

ويرى والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقه، الأنثروبولوجيون أن لوكرتيوس استطاع ان يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم حديدية[1].

وعله الرغم من أن الرومان اهتموا بالواقع، من حيث ربط السلالات البشرية بإمكانية التقدم الاجتماعي والحركة الحضارية، فقد وجدوا في أنفسهم امتيازاً وأفضلية عله الشعوب الأخرى. فكان الروماني فوق غيرى بحكم القانون، حته أن الرومان إذا أرادوا أن يرفعوا من قدر إنسان أو شأن سلالة.

كان الاتجاه السائد هو العنصري في الحضارات، حيث كانت هذه الحضارات القديمة تتميز بالتعالي عن غيرها فكانوا يعتقدون انهم فوق غيرهم...

3-1-1 عند الصينيين القدماء:

يرى بعض المؤرخين أن الصينيون لم يعبؤوا في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، وهذا لأية وجود نابع من نظرتهم العنصرية، إذ كانوا يعتقدون كالرومان انهم أفضل الخلق، وأنه لا حضارة أو فضيلة خارج جنسهم.. بل كانوا يرون انهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء...

ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم" حته لا تدنس ارضهم بأقدام الآخرين ولذلك اهتم فلاسفة الصين القدماء بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات (الواقعية/العملية) في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأن معرفة الانماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل

1- حسين فهيم ، **مرجع سابق**، ص 39.

الواضح عله التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيما تلك التي تعني بالإنسان[1].

2-1 الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى

1-2-1 في أوروبا:

مع نهاية القرن الخامس الميلادي تقريبا بدأت السلطة المركزية لروما في ا والانهيار ودخلت أروبا في مرحلة من ارتداء الفكر وسميت هذه الحقبة بالعصور الوسطى لأنها وقعت بين عهدين (الفلسفات الأوروبية القديمة في أثينا أو روما وعصر النهضة)، في هذه الفترة انتشرا الإرهاب الديني المسيحي. في هذه العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني وأدينت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة عله اتجاهات التفكير الاجتماعي، وتجدر الإشارة عله أنه إلى جانب الكنيسة وما ارتبط بها من مؤسسات دينية كالأديرة وغيرها، كانت هناك مراكز أخرى وجهت أيضا منطلقات المعرفة وحددت طبيعتها خلال العصور الوسطى للحضارة الغربية كبلاط الملوك الذي كان يضم في العادة فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء[2].

ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب اتسمت – غالبا- بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة عله أرض الواقع مثال ذلك ما قام به الأسقف إزيدور **Isidore (560-636)** حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة

1- عيسى الشماس ، **مرجع سابق**، ص 22.

2- حسين فهيم ، **مرجع سابق**، ص 42.

وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز فقد ذكر مثلا أن قرب الشعوب او بعدها عن أروبا يحدد درجة تقدمها فكلما كانت المسافة بعيدة، كلما كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا، ليس هذا فحسب بل إنه وصف أولئك الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حته القرن الثالث عشر حين ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي باتو لو مكوس **Batolomacu** والتي خطيت بشعبية كبيرة رغم أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها من حيث الاعتماد عله الخيال **1**عله العموم فإن معظم التفسيرات التي قدمت في هذه الفترة كانت قائمة عله التحيز العنصري والديني وسادت نظرية " الارتداد او الانتكاس الحضاري **Cultural Dégradation** فالشعوب المسيحية الممتثلة الأمور الدين هي ارقه الشعوب أما بعض السلالات وخصوصا غير الغربية، فقد تدهورت من الحالة المثلى إلى الحالة الأدنى بسبب ما قاموا به من أفعال شريرة، وما يمارسونه من طقوس ومعتقدات شاذة وغريبة[1].

2-2-1 العرب والمسلمون:

بدأت بوادر الحضارة العربية الإسلامية في الانتشار والازدهار خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية فقد تم فتح عدة أقاليم من إسبانيا حته الهند، وتضمنت هذه الحضارة: الآداب والفلسفة والأخلاق والمنطق... وغيرها.

ومن أجل تنظيم نظام الحكم في البلاد المفتوحة كان من الاهتمام بأحوال الناس فبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية وإعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن

1- حسين فهيم ، **مرجع سابق،** ص 43.

الرابع عشر الميلادي واعتمدت مواد هذه الموسوعات عله المشاهدة والخبرة الشخصية وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

ومن بين العلماء البارزين في هذه الفترة نذكر:

- **البيروني** (362– 440هـ) وضع كتابا عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وصف فيها المجتمع الهندي وصفا دقيقا (اجتماعيا وثقافيا...).
- **الرحالة ابن بطوطة** :من خلال كتاباته ذات الطابع الأنثروبولوجي، والتي برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم.
- **المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون** (1332- 1406) كتب ابن خلدون تاريخا ضخما عن العرب والبربر، مزودا بمقدمة ضخمة نقدية طويلة حول استخدامه للمصادر فقد أنشأ أوله النظريات الاجتماعية، وسبق أفكار **اميل دور كايم** عن التماسك الاجتماعي.

ويؤكد ابن خلدون أهمية القرابة والدين في خلق شعور من التلاحم والالتزام المتبادل بين أعضاء جماعة ما. يتحدث ابن خلدون عن نشأة المجتمع الإنساني وتطوره ولا يستمر هذا المجتمع – حسب ابن خلدون – إلا بوجود سلطة قائمة خاصيتها الأساسية القهر بما تفرضه من نظم وقوانين وسلوك عام تخضع له الجماعة ككل، وبدون السلطات فهي حالة الفوضه المؤدية إلى الحرب، والسلطان القاهر المنظم للمجتمع يستند بدوره إلى العصبية التي هي

بمثابة مفهوم مركزي في التحليل الخلدونية لنشأة المجتمعات وتطورها واندثارها من المجتمعات العربية التي عاشها حالة واقعية لدراسته[1].

1- مصباح عامر، **المدخل إلى علم الانثروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010، ص 31، 32.

المحاضرة رقم 04

3-1 الانثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

بدأ عصر النهضة في أوربا في نهاية القرن ال ا ربع عشر الميلادي **(14)** حيث شرع الأوربيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر **(17)** إن هذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة (التنوير) واسهمت بالتالي في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر **(19)** كعلم، يدرس تطور الحضارة البشرية في اطارها العام وعبر التاريخ الإنساني، الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات والتعرف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورية معينة، بحيث يضع ذلك أساسا لنشأة علم الانثروبولوجيا.

أهم مرحلة استكشافية أثرت في علم الانثروبولوجيا الرحلة التي قام بها كريستوف كولومبوس إلى القارة الامريكية ما بين **(1502 –1492)** حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة. وكتب في وصفه لسكان امريكا الأصليين:

"إنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق، وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا من ممتلكاتهم، علاوة عله أنهم يتقاسمون ما عندهم برضا وسرور[1].

وتميز عصر النهضة الأوروبية بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان وهي أن المفكرين اتفقوا عله الرغم من تباين وجهات نظرهم عله مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها وتكوين الطبيعة وقوانينها وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية[2].

وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه لدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضه دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية(التطورية للإنسان).

وقد تبلور هذا الاتجاه (المذهب) العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن **17** من امثال فرانسيس بيكون ورينيه ديكارت واسحاق نيوتن وغيرهم، حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان عله أنه ظاهرة طبيعية ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي، والمنهج التجريبي، وهذا ما ساهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي.

1- عيسى الشماس ، **مرجع سابق**، ص 26.

2- **نفس المرجع** ، ص 26.

وقد ظهر عالم الاجتماع الفرنسي ميشيل دومونتان والذي أجرى مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا، وبعد أن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية:

"إنه لكي يفهم العالم فهما جيدا، لا بد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع"[1].

وعليه فقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمر بها. ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون أن في مقدمة ابن خلدون بعضا من موضوعات الانثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها.

ومنه يمكن القول إن الفلاسفة والمفكرين العرب المسلمين أسهموا بفاعلية خلال العصور الوسطى – في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية ولاسيما التنوع الثقافي الحضاري بين الشعوب سواء بدراسة خصائص الثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن عله اعتبارها مصادر للمادة " الاثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة)

ولا سيما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإن الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر **(19)** كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا بغيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة.

1- عيسى الشماس ، **مرجع سابق**، ص 28.

4-1 الانثروبولوجيا في العصر الحديث:

ظهرت الأنثروبولوجيا الحديثة في القرن التاسع عشر جنباً إلى جنب مع التطور والقبول العلمي لنظريات التطور البيولوجي والثقافي. في أوائل القرن التاسع عشر، أثبت بعض العلماء من خلال الملاحظات العلمية، لاسيما عن العظام المكتشفة وغيرها من البقايا مثل الأدوات الحجرية، أن ماضي البشرية غطى فترة زمنية أطول بكثير مما كان يروّج له. وفي عام **1836**م اقترح عالم الآثار الدنماركي كريستيان تومسن ما عرف بنظام العصور الثلاثة التي أطلق عليها اسم العصر الحجري، والعصر البرونزي، والعصر الحديدي. يتلاءم مفهوم تومسن عن العصور التكنولوجية بشكل جيد مع آراء عالم الجيولوجيا الأسكتلندي السير تشارلز ليل، الذي اقترح أن الأرض أقدم بكثير مما كان يعتقد سابقاً وقد تغيرت خلال عدد كبير من المراحل التدريجية.

وفي عام **1859**م نشر عالم الطبيعة البريطاني تشارلز داروين كتابه عن أصل الأنواع، الذي جادل فيه بأن الأنواع الحيوانية والنباتية تغيرت أو تطورت عبر الزمن تحت تأثير عملية أطلق عليها الانتقاء الطبيعي. وقد تعرضت النظرية والكتاب لكثير من الجدل لا يزال محتدماً حته عصرنا هذا. وخلال أواخر القرن التاسع عشر، روّج العديد من علماء الأنثروبولوجيا لنماذجهم الخاصة للتطور الاجتماعي والبيولوجي. وصوّرت كتاباتهم الأشخاص المتحدرين من أصل أوروبي عله أنهم متفوقون بيولوجياً وثقافياً عله جميع الشعوب الأخرى. وظهرت وجهة النظر هذه في كتاب "المجتمع القديم"، الذي نشره عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي لويس هنري مورغان عام **1877**، وفي كتابات السير إدوارد تايلور، مؤسس الأنثروبولوجيا البريطانية، الذي روّج لنظريات التطور الثقافي في أواخر القرن التاسع

عشر. وقد كتب تايلور أيضاً تعريفاً للثقافة لا يزال مقتبساً عله نطاق واسع، واصفاً إياها بأنها "ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع". وقد شكّل هذا التعريف أساس المفهوم الأنثروبولوجي الحديث للثقافة.

في عشرينيات القرن الماضي ظهرت الأنثروبولوجيا كنظام مهني وعلمي جاد. وتطورت ممارسات البحث الأنثروبولوجي بطرق مختلفة في الولايات المتحدة وأوروبا. وفي ثلاثينيات القرن الماضي، اتخذت الأنثروبولوجيا شكلها الحالي كمهنة أكاديمية في الولايات المتحدة تحت تأثير عالم الأنثروبولوجيا فرانز بواس، الذي ساعد عله تدريب العديد من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين في القرن العشرين، وواصل العديد من طلبته – بمن فيهم ألفريد كروبر وروث بنديكت ومارغريت ميد – إنشاء أقسام للأنثروبولوجيا في الجامعات في جميع أنحاء البلاد.

خلال النصف الأول من القرن العشرين، أجرى العديد من علماء الأنثروبولوجيا دراسات إثنوغرافية في خدمة الحكومات الاستعمارية. سمحت هذه البحوث للمستعمرين بالتنبؤ بما سيحدث لمجتمع بكامله استجابة لسياسات استعمارية معينة. وخلال تلك الفترة ولاسيما في الستينيات، تم تطوير العديد من الأفكار النظرية في الأنثروبولوجيا مثل البنيوية والمادية الثقافية والبيئة الثقافية. وعله النقيض، وخلال سبعينيات القرن الماضي، ركز علماء الأنثروبولوجيا عله معاني رموز وطقوس ثقافية معينة داخل الثقافات نفسها، وهو نهج يُعرف باسم الأنثروبولوجيا الرمزية.

بذلك يتضح لنا أن الحقول الفرعية للأنثروبولوجيا ظهرت في البداية في المجتمع الغربي في محاولة لفهم الشعوب غير الغربية. وعندما بدأ الأوروبيون استكشاف العالم واستعماره في القرن الخامس عشر، واجهوا شعوباً أصلية في الأمريكتين وأفريقيا والشرق الأوسط وآسيا. ووصف المسافرون الأوروبيون والمسؤولون الحكوميون هذه الثقافات غير الغربية، وقدّموا سجلاً لمظاهرها الجسدية وعاداتها ومعتقداتها. وبحلول القرن التاسع عشر، تطورت الأنثروبولوجيا إلى التخصص الأساسي لفهم المجتمعات والثقافات غير الغربية، حيث سعه العلماء آنذاك بشكل عام إلى فهم الاختلافات الأساسية والتشابهات بين المجتمعات والثقافات البشرية والتنوع المادي الموجود في الشعوب في جميع أنحاء العالم.

وحاليا، لا يركز علماء الأنثروبولوجيا اهتمامهم فقط عله الثقافات غير الغربية بل يتعدونها إلى دراسة الممارسات الثقافية في البيئة الحضرية في كل مكان

المحاضرة رقم 05

عله الرغم من الاعتراف بالأنثروبولوجيا كعلم مستقلّ بذاته، يدرس الإنسان من حيث نشأته وتطوّره وثقافته، فما زال العلماء، ولا سيّما علماء الإنسان يختلفون حول تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة .. فيرى بعضهم أنّه من العلوم الاجتماعية، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة. ويرى بعضهم أيضاً أنّه من العلوم التطبيقية، كالرياضيات والطب والفلك. بينما يرى بعضهم الآخر أنّه من العلوم الإنسانية، كالفلسفة والفنون والديانات، لكن هذه العلوم كلّها دخلت عله مرّ التاريخ الثقافي لشعب ما، إلى جسد هذه الثقافة وأصبحت جزءاً منها ، ومكوّناً من مكوّناتها، الأمر الذي أده في النهاية إلى اختلاف الثقافات بين المجتمعات البشرية. ومن هنا كان علم الأنثروبولوجيا، ذا صلة بكثير من العلوم أخرى .

فعلم الأنثروبولوجيا اضطرّ المرة تلو المرّة، إلى الانتظار ريثما تنجح العلوم الطبيعية في استجلاء نقطة معيّنة عن طريق التجارب التي تجره عله الحيوانات. وممّا لا شكّ فيه أنّ نتائج الأبحاث التي أجراها علماء الوراثة عله الجرذان وذباب الأشجار المثمرة، هي التي مهّدت الطريق لفهم قوانين الوراثة عند الكائنات البشرية، ولجلاء المشكلات المختلفة المتّصلة بما يسمّه (العروق أو الأجناس البشرية). غير أنّنا من جهة أخرى، نستطيع القول :إنّ الحقائق التي اكتشفتها العلوم الطبيعية، لا تساعد كثيراً في فهم طبيعة السلوك الإنساني، وذلك لأنّ معظم الظاهرات السلوكية البشرية لا تجد ما يماثلها مماثلة وثيقة عله الصعيد الحيواني[1].

1- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:

1- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة عبد المالك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت-لبنان، 1967. ص 16.

يعدّ علم الاجتماع من أحدث العلوم الأساسية وأهم العلوم الإنسانية. لذلك، يعرّف بأنّه: العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الاجتماعية وقوانين تطوّرها[1].

ويعرّف بصورة أوسع، بأنّه : أحد العلوم الإنسانية إلىامة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وهو من العلوم التي تحاول الوصول إلى قوانين وقواعد تفسّر الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر في شكل جماعات بشرية، أو نظم ومؤسّسات اجتماعية أو إنسانية .وهو بالتالي، العلم الذي يساعد في تكيّف الفرد والمجتمع للعيش معاً، ضمن أهداف معيّنة يسعون إلى تحقيقها، من أجل التقدّم والاستمرارية [2].

فعلم الاجتماع إذن، يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم، وتصرّفاتهم كأعضاء مكوّنين لهذه الجماعة. فهو يركّز عله سلوكات الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك، ويدرس بالتالي تأثير البيئة الاجتماعية)الاقتصادية والثقافية) في تكوين الشخصيّة الإنسانية، وتحديد العلاقات بين الأفراد[3].

إنّ مصطلح علم الاجتماع مشتقّ من كلمتين، الأولى هي (سوسيو **Sociu**) اللاتينية، وتعني رفيق أو مجتمع. والثانية (لوغوس **Logos**)اليونانية، وتعني العلم أو البحث. وبما أنّ علم الاجتماع يتناول التفاعل الاجتماعي عندما يدرس الجماعة، فإنّ ثمّة تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية ..

1- الحصري ساطع، **أحاديث في التربية والاجتماع**، دار العلم للملايين، بيروت، 1985، ص 08.

2- عيسى محمد طلعت، **مدخل إلى علم الاجتماع**، دار المعارف، بيروت، 1986، ص 13.

3- الجيوشي فاطمة والشمّاس عيسى، **التربية العامة**، جامعة دمشق – كليّة التربية، 2002-2003، ص 59.

وهذا ما دعا أحد العلماء إلى القول : إنّ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هو فرع من فروع علم الاجتماع المقارن[1].

وهكذا نجد أنّ ثمّة صلة من نوع ما، بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر إلى أنّ كلاًّ منهما يدرس الإنسان. ويتجاوز الترابط بينهما المعلومات التي يهدف كلّ منهما الحصول عليها، إلى منهجيّة البحث من حيث طريقته وأسلوبه، إلى حدّ تسمّه الأنثروبولوجيا عنده، بعلم الاجتماع المقارن، عله الرغم أن أنّها تهتمّ بالجانب الحضاري عن الإنسان ، بينما تقترب دراسة علم الاجتماع من الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

فعلم الاجتماع يركّز في دراساته عله المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، ويندر أن يدرس المجتمعات البدائية أو المنقرضة. بينما تركّز الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في دراساتها، عله المجتمعات البدائية/الأولية، وأيضاً المجتمعات المتحضّرة/المعاصرة.

ولكنّ دراسة الأنثروبولوجيا للمجتمعات الإنسانية، تتركّز في الغالب عله : التقاليد والعادات والنظم، والعلاقات بين الناس، والأنماط السلوكية المختلفة، التي يمارسها شعب ما أو أمّة معيّنة[2].

أي أنّ علم الأنثربولوجيا الاجتماعية يدرس الحياة الاجتماعية (المجتمع ككلّ)، وينظر إليها نظرة شاملة، ويدرس البيئة العامة، والعائلة ونظم القرابة والدين، بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصّصة إلى حدّ بعيد. حيث يقتصر عله دراسة ظواهر محدّدة أو مشكلات

1- لطفي عبد الحميد، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص 44.
2- أحمد أبو هلال، **مرجع سابق**، ص 1.

معيّنة، أو مشكلات قائمة بذاتها، كمشكلات :الأسرة والطلاق والجريمة، والبطالة والإدمان والانتحار ... [1]

وإذا كان ثمّة تباين أو اختلاف بين العلمين، فهو لا يتعدّه فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيراتها، وفق أهداف كلّ منهما. فبينما نجد أنّ الباحث في علم الاجتماع، يعتمد عله افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات الاجتماعية، ويحاول التحقّق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة استبيان أو استمارة خاصة لذلك، نجد – في المقابل – أنّ الباحث الأنثروبولوجي، يعتمد تشخيص الظاهرة استناداً إلى فهم الواقع كما هو، ومن خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة الأفراد في حياتهم العادية.

2- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة :

تعود كلمة (فلسفة) إلى الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين : **(PHILO SOPHY)** أي فيلوسوفيا **PHILOSOPHY** ، وتعني : (حبّ الحكمة) أو محبّة الحكمة

ولكن عله الرغم من أصلها الاشتقاقي، فقد اتّخذت عند أرسطو معنه أكثر دقّة وشمولاّ، حيث عرّفها بأنّها: " علم المعنه الأكثر شمولاً لكلمة علم ." ويشرح ذلك بقوله : " الفلسفة هي علم المبادئ والأسباب الأولى، غايتها البحث عن الحقيقة برمّتها، وبأكثر أساليب الفكر نظاماً وتماسكاً ". أي أنّها : علم الوجود بما هو موجود، أو الفكر في جوهر وجوده. ولا يمكن بلوغ هذه الغاية إلاّ بإحكام دقيق للفكر، أي بمنهج يستند إلى مبادئ العقل[2].

1- لطفي عبد الحميد، **مرجع سابق**، ص 45.

2- الجيوشي فاطمة، **فلسفة التربية**، جامعة دمشق، كلية التربية. 1987-1988، ص 03.

وبالنظر إلى هذا المعنه الواسع، اختلف الفلاسفة في إعطاء معنه دقيق للفلسفة. فقد عرّفها الطبيعيون بأنّها : البحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات. وعرّفها بعض الفلاسفة الآخرين بأنّها : مجموعة المعلومات في عصر من العصور[1].

وإذا كانت الفلسفة (أم العلوم) كما كانت تسمّه، بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فإنّ صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جدّاً، ولا سيّما فيما يتعلّق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، في زمان ما أو مكان محدّد. وذلك لأنّ الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوّناتها إلاّ من خلال دراسة الفعل الإنساني، الذي يسعه إلى البقاء والاستمرار .

فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود، وما ينجم عن ذلك من تطوّر وتغيّر مستمرّين، كلّها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية، ولا سيّما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف، تؤمّن سيرورة حياته.

3- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

يعرّف علم النفس بأنّه : العلم الذي يهتمّ بدراسة العقل البشري، والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما. أي أنّه : مجموعة الحقائق التي يتمّ الحصول عليها من وجهة النظر النفسيّة[2].

وهذا يعني : أنّه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره[3].

1- محمود عبد الحليم، **التفكير الفلسفي في الإسلام**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 225.

2- فراير هنري ساركس، **علم النفس العام، ترجمة** : ابراهيم منصور، بغداد، 1968، ص 32.

3- عيسوي عبد الرحمن، **علم النفس في المجال التربوي**، دار العلوم العربية، 1989، ص 07.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول : إنّ علم النفس ، هو العلم الذي يدرس الإنسان من جوانب شخصيّته المختلفة، بغية الوصول إلى حقائق حولها، قد تكون ذات صفة عامة ومطلقة، يمكن تعميمها.

ولذلك، تهتمّ الدراسات النفسيّة بالخصائص الجسميّة الموروثة، وتحديد علاقاتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولا سيّما تلك العلاقة بين الصفات الجسميّة العامة، وسمات الشخصيّة. مع الأخذ في الحسبان العوامل البيئيّة المحيطة بهذه الشخصيّة.

ويميل النفسيون إلى الاعتقاد بأهميّة هذه العوامل البيئيّة في هذه العلاقة، فالشخص القوي البنية، والذي يميل إلى السيطرة وتولّي المراكز القياديّة، لا بدّ وأنّه تعرّض إلى خبرات اجتماعية / نفسيّة، في أثناء طفولته ونموّه، أسهمت في إكسابه هذه السلوكات[1].

وإذا كانت الأنثروبولوجيا، توصف بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان، من حيث تطوّره وسلوكاته وأنماط حياته، فإنّ علم النفس يشارك الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان. ولكنّ الخلاف بينهما، هو أنّ علم النفس يركّز عله سلوك الإنسان / الفرد، أمّا الأنثروبولوجيا فتركّز عله السلوك الإنساني بشكل عام. كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة[2].

وعله الرغم من أنّ علم النفس يقصر دراسته عله الفرد، بينما تركّز الأنثروبولوجيا اهتمامها عله المجموعة من جهة، وعله كلّ فرد بصفته عضواً في هذه المجموعة من جهة

1- الجسماني عبد العال، **علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية**، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1994، ص 271.
2- ناصر ابراهيم، **الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)**، عمّان، 1985، ص 21.

أخرى، فثمّة صلة وثيقة بين العلمين. حيث اكتشف علماء النفس أنّ الإنسان لا يعيش إلاّ في بيئة اجتماعية يؤثّر فيها ويتأثّر بها ..

وتنصبّ الدراسة في علم النفس الاجتماعي عله المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية، كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمّع، إضافة إلى دراسة الاتّجاهات. فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية، التي تعنه بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حين يعيشون في طبقة أو جماعة، حيث أنّ الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنّها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية/الإنسانية[1].

ولذلك نره أنّ المهمّة التي تواجه الباحث الأنثروبولوجي، لا تختلف عن تلك المهمةّ التي تواجه عالم النفس. فكلاهما عليه أن يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته، من التعبير الخارجي في السلوك .. وإن كان عالم الأنثروبولوجيا يعوّقه اضطراره إلى إدخال خطوة إضافية في مستهلّ عمله .فبينما يستطيع عالم النفس أن يلاحظ سلوك موضوع بحثه بصورة مباشرة، ينبغي عله عالم الأنثروبولوجيا أن يبني استنتاجاته عله الأنماط المثالية للثقافة التي يتناولها بالبحث .

ولكنّ مهمّة عالم الأنثروبولوجيا في محاولاته لكشف خفايا الأمور، تشبه مهمّة عالم النفس في الجهود التي يبذلها في سبر غور العقل الباطن. وفي كلا الحالين، تتألّف النتائج التي يتوصّل إليها الباحثون من سلسلة تأويلات، أمّا الحقائق التي تستند إليها هذه التأويلات، فكثيراً ما تكون قابلة لأكثر من تفسير[2].

1- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، ط1، الاسكندرية، ص 86.

2- رالف لينتون، **دراسة الإنسان**، ترجمة عبد المالك الناشف، منشورات المكتبة المصرية، بيروت-لبنان، 1964، ص395.

لذلك، تعدّ دراسة الأنثروبولوجيا دراسة للأنماط السلوكية الإنسانية، بينما تعدّ الدراسة النفسيّة دراسة للسلوك الخاص بالشخصيّة الفردية، وأن كانت تتأثّر بالعلوم الاجتماعية.

المحاضرة رقم 06

4- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا:

تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كلّ نموذج من أنواع الجنس البشري، نظراً لوجود البقايا العظمية للأسلاف، عله شكل بقايا مستحاثة حفرية بين ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية والمنضدّة بعضها فوق بعض، وفق خاصية النشوء والتقادم لكلّ منها، بحيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها.

وهذا يمكّننا من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها ذلك الإنسان الحفري، إلى جانب معرفة العالم الحيواني الآخر الذي كان يحيط به، من خلال التعرّف إلى البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة. كما أننّا نستطيع التعرّف إلى الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما كان يعيش هذا الإنسان أو ذاك، في تلك الأزمنة السحيقة من تاريخنا البشري [1].

وكما تستفيد الأنثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية، تستفيد أيضاً من المعطيات العلمية/الجغرافية، وفي مقدّمتها النواحي الطبيعية، من تضاريس ومياه، إلى جانب الظروف المناخية التي تتفاوت من منطقة إلى أخرى، وذلك بحسب قربها – أو بعدها– من خط الاستواء، أو من شواطئ البحار والمحيطات، أو ارتفاعها وانخفاضها عن سطح البحر .

فهذه العوامل كلّها تؤثّر في حياة الإنسان بجوانبها المختلفة، العضوية والاجتماعية والثقافية. ولذلك، فإنّ الأحوال المعيشية والبنه الاجتماعية عند المجتمعات البشرية، ليست

1- علي عبد الله الجباوي، **الأنثروبولوجيا علم الأناسة**، مرجع سابق، ص 12.

متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد فيها تلك المجتمعات. فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن من الأخطار الخارجية، بينما يتعرّض سكان السهول دوماً إلى غزوات واجتياحات من الشعوب أو القوه الخارجية. وفي المقابل، يكون سكان المناطق الساحلية أكثر انفتاحاً في علاقاتهم مع العالم الخارجي، قياساً بأهل المناطق الداخلية حيث تكون العلاقات الأسرية شبه منغلقة عله ذاتها، إلى جانب الالتزام بالعصبية القبلية. وهذا ينعكس في سلوكية السكان في هذه المنطقة أو تلك[1].

ولذلك، يميل علماء الأنثروبولوجيا إلى إهمال ما يسمّه بالقدرات الفطرية للشعوب الإنسانية، ويؤثرون كتابة تاريخ الحضارة في ضوء عوامل البيئة والحظ وتسلسل الأحداث المترابطة. فهناك من يجد أنّ للمناخ أثراً في ناتج الطاقة الإنسانية، وهناك من يعتقد بوجود علاقة بين الطقس والخمول الذي يتميّز به سكان المناطق الحارة، أو النشاط الاندفاعي الذي يميّز سكان المناطق الباردة والعاصفة .

وضمن هذه الرؤية، قام الدكتور (وليم بيترسن**W. Petersen**) في أواسط الستينات من القرن العشرين، بإجراء تحليل دقيق للارتباط الوثيق بين الطقس والوظائف الفيسيولوجية، وبنه دراسته عله التقدّم الذي أحرزه المرضى الذين كان يشرف عله علاجهم. وتبيّن من نتائج أبحاثه، أنّ تقلّبات حالة المرضى تتبع نمطاً مشابهاً لتراوحات الضغط البارومتري، وبدا وكأنّ الظاهرة الأولى تتأثّر بالثانية[2].

وإذا كان من الصحيح أنّ وظائف الإنسان الفسيولوجية قابلة للتكيّف مع أنواع البيئات المختلفة، فإنّه من السهل – في المقابل – أن نتصوّر أن بعض جوانب البيئة، تكون أكثر

1- علي عبد الله الجباوي، **الأنثروبولوجيا علم الأناسة**، مرجع سابق، ص 14.
2- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق، ص 61.

أهميّة وتأثيراً من بعضها الآخر، في مراحل معيّنة من تاريخ التطوّر الإنساني، الحضاري والاجتماعي والثقافي ... وهذا كلّه يدخل في جوهر الدراسات الأنثروبولوجية وأهدافها.

5- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء/البيولوجيا: Biology

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحيّة من وحيد الخلية الأبسط تركيباً، وحته كثير الخلايا والأكثر تعقيداً .ولذلك يعرّف بأنّه : العلم الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطوّرها.

ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، ولا سيّما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي. وتدخل في ذلك، نظرية التطوّر التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحيّة وأنواعها ووظائف أعضائها، تتغيّر باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالاً جديدة ، قد تكون أرقه من الأجيال السابقة، كما هي الحال عند الإنسان .

كما تستند هذه النظرية إلى أنّ الإنسان بدأ كائناً حيّاً بخلية واحدة، تكاثرت في إطار بنيته العامة، إلى أن انتهى إلى ما هو عليه الآن من التطوّر العقلي والنفسي والاجتماعي. وهذا ما دلّت عليه بقايا عظام الكائنات الحيّة المكتشفة في الحفريات الأثرية.

فالأنثروبولوجيا، من الناحية النظرية، شديدة القرب من البيولوجيا ؛ فكلاهما يدرس عملية إعادة إنتاج الحياة، وكلاهما مبنيّ عله نموذج نظري للتنوّع، وكلّ في تخصّصه .

لكنّ نتائج الحوار في الدراسة الميدانية، أدّت كما يقول كارلوس سافيدرا إلى أنّ المبادئ التي تأسّست عليها نظرية التطوّر تتبع من الناحية المنطقية والمنهجيّة، توالياً أو نموذجاً، يسير من الثبات إلى التغيّر ..فبنو الإنسان من أصل واحد، سواء أكان التطوّر بالتعبير

التطوّري أو بتركيب الحمض النووي بالتعبير التزامني .. ولكن هناك أيضاً – في الوقت نفسه – تشوّهات وتغيّرات مختلفة الأشكال، بنيوية وتركيبية بالمصطلح الأنثروبولوجي.

ويحظى تحليل التنوّع في العلمين، بدور حيوي : التنوّع الجيني في علم (البيولوجيا) والتنوّع الاجتماعي في (الأنثروبولوجيا) , فالتنوّع أمر أساسي لما تسمّيه البيولوجيا " الفاعلية البيولوجية " وهي القدرة عله مواصلة الحياة، وإخلاف الذرية. والأمر ذاته نجده في الأنثروبولوجيا فيما يطلق عليه :إشباع الحاجات الأساسية .

يعدّ دارون رائد علم الأحياء، الذي استند فيه إلى نظرية (النشوء والارتقاء) في حياة الإنسان، والتي قدّم لها تفسيراً منهجياً معقولاً، يتلخّص في الأمور التالية :

- إنّ عمليات الحياة المتتابعة بمعطياتها وظروفها، تنتج كائنات مختلفة عن أصولها .. أي أنّ أنواع هذه الكائنات لا تتكرّر هي ذاتها من خلال التكاثر، بل تتنوّع في أشكالها ومظاهرها.
- إنّ الخصائص التي تتمتّع بها بعض الكائنات الحيّة، تجعلها أكثر قدرة عله البقاء من بعضها الآخر، حيث تستطيع التلاؤم مع الظروف البيئيّة الخاصة التي تحيط بها.
- إنّ الكائنات الحيّة الجديدة، الأكثر قدرة ورقيّاً، تمتلك عوامل التكاثر والاستمرار عله قيد الحياة، لفترة أطول ممّا هي عند بعض الكائنات الضعيفة الأخرى، التي تتعرّض للانقراض السريع.
- إنّ بعض الخصائص البيولوجية(الصفات المهلكة) عند بعض أنواع الكائنات الحيّة تؤدّي إلى موتها بصورة سريعة، وربّما مباشرة، إذا لم تكن هذه الخصائص تؤهّلها

للتكيّف مع الظروف البيئيّة. وهذا ما يؤثّر سلباً في نسل هذه الكائنات من حيث البنية والمقاومة.

واستناداً إلى هذه المبادئ التي قدّمها دارون في أصل الكائنات الحيّة وتطوّرها، وصولاً إلى وضع الإنسان الحالي، اكتشف العلماء قوانين الوراثة وما يتبعها من الجينات (الخلايا) التي تحمل صفات الإنسان، وتنقلها من الآباء إلى الأبناء، من خلال التلقيح والتكاثر. وهذا ما جعل علماء الأنثروبولوجيا يعتقدون بأن الجنس البشري مرّ بمراحل تطوّرية عديدة ،حتى وصل إلى الإنسان (الحيوان الناطق والعاقل).

ومهما يكن الأمر، فإنّ النقاش ما زال مفتوحاً حول دور الأنثروبولوجيا في الدراسات الخاصة بتطوّر الإنسان هذا التطوّر الذي يدخل في الإطار التاريخي، ولكن بطبيعة بيولوجية، لا بدّ من دراسة مبادئها ومظاهر تغيرها.

6- الانثروبولوجيا وعلم الفيزياء والكيمياء:

تجسد العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلمي الفيزياء والكيمياء، في الاستعانة بهما في تحليل المواد التي صنعت بها الأدوات الخزفية، وأدوات الأكل والإنتاج والتحف، وحتى تحليل ظاهرة تحنيط الأجسام القابلة للانحلال في العصور القديمة وبتحليل مكونات هذه الأدوات يمكن الوصول إلى استخلاصات ونتائج حول العصور التي مرت بها البشرية وطبيعتها وخصائصها ومعالم الانتقال من عصر إلى آخر[1].

7- الأنثروبولوجيا والفن:

1- مصباح عامر، **مرجع سابق**، ص 38.

تتجسد علاقة الأنثروبولوجيا بالفن في دراستها (فنون ورسوم وشعر وأدب وتراث وفلكلور الشعوب المختلفة)، إذ نستطيع القول أن الفن هو أحد موضوعات الانثروبولوجيا الرئيسة وبيان مدى تأثير أشكال المرح والفرح والاحتفال على النظم الاجتماعية المختلفة وعلى الثقافة والقيم التي يحملها والاعتقادات الدينية. وتحليل مثل هذه الرموز الفنية يفيد في فهم نمط التفكير لدى أصحاب هذا الفن وبالتالي طبيعة السلوك الاجتماعية[1].

8- الأنثروبولوجيا واللسانيات:

أصبحت استعانة الأنثروبولوجيا باللسانيات ضرورة معرفية ومنهجية ملحة وذلك لما قد يجده الباحث الأنثربولوجي في الدراسات اللسانية من ادوات وتقنيات مفيدة له والتي تشكل محطة اساسية لا بد من المرور عبرها من أجل اقتحام البناء الاجتماعي والثقافي والعقائدي للشعوب فاللغة هي جزء مهم من ثقافة أي شعب وميوله واتجاهاته الفكرية العامة بل هي تقيس تطوره الفكري والاجتماعي[2]. **(محمد سعيدي، 2013، ص 44)**

تلعب اللغة والدراسات اللغوية دورا مهما في تدعيم البحث الأنثروبولوجي حيث تمكنه من جمع وتسجيل العناصر الثقافية والتي تنتقل من جيل إلى آخر، هذا من جهة، ومن جهة الأخرى فإن المعرفة اللغوية تبقى أساسية وضرورية للباحث الميداني الذي يبقى مطالبا بمعرفة لغة الأهالي من أجل الاتصال والتواصل معهم ومعرفة أشكإلىم التعبيرية من أغاني وحكايات وأساطير وأمثال وحكم وألغاز وأشعار ونكت، معرفة مباشرة دون اللجوء إلى الدليل أو المترجم[3].

1- **مرجع نفسه**، ص 19.

2- سعيدي محمد، **الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها**، دار الخلدونية، 2013، ص 44. 27، 28.

3- **المرجع نفسه**، ص 26.

9- الأنثروبولوجيا وعلم الآثار

يقوم علم الاثار بدور معرفي ومنهجي لا يستهان به في البحث الانثروبولوجي، حيث يزود الباحث بطاقات علمية ووسائل تقنية مفيدة تساعده على معرفة ما في موضوعه وإبراز بعض خصوصياته المادية والمعنوية الأولى، وذلك باستنطاق الآثار القديمة المتبقية والوسائل على الحضارية التي ابدعها وصنعها الأقدمون وظلت بعض بقاياها حية كعلامات دالة حضارة وثقافة قد اندثرت وانقرضت أو هي في طريق الزوال بفعل عامل الزمن أو الحروب او الكوارث الطبيعية[1].

يستفيد الباحث الانثروبولوجي بل يعتمد في أكثر الأحيان على أعمال وتقنيات ونظريات وأطروحات ونتائج الباحث في علم الآثار الذي يبحث كما هو معروف في مختلف المراحل التطورية الثقافة الإنسان، حيث يحدد معالم تفكير الإنسان الأول ويدرس مخلفاته ويتبع هذه المخلفات والبقايا ويدرس تطوراتها من حالاتها البدائية الأولى إلى حالاتها الراقية في بداية العصر التاريخي، حيث اكتشف الإنسان الكتاب وتوصل إلى حضارة اللغة وعبر الإنسان عن حضارته وثقافته لغويا باستخدام الكتابة 3إن اعتماد الأنثروبولوجي على علم الآثار مكنته من التعمق والغوص أكثر ثقافات وحضارات وتاريخ الشعوب من الزاوية الأثرية عن طريق تحليل دلالاتها.

وهكذا، تُشكّل الأنثروبولوجيا مع العلوم الأخرى، ولا سيّما العلوم الإنسانية، منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة، وهو الإنسان. ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية، التي

1- **المرجع نفسه**، ص 27، 28.

تنظّم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة التي تسعه إليها هذه العلوم

.

المحاضرة رقم 07

تدرس الأنثروبولوجيا أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخيا، وتتبع نموها وتطورها، وتدرس بناء الثقافات البشرية وأداؤها لوظائفها في كل مكان وزمان فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتيا، سواء كانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجري، أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة في أوروبا وأمريكا. فجميع الثقافات تستأثر باهتمام دارس الأنثروبولوجيا، لأنها تسهم جميعا في الكشف عن استجابات الناس للمشكلات العامة التي تطرحها دوما البيئة المادية، وعن محاولات الناس الحياة والعمل معا، وتفاعلات المجتمعات الإنسانية بعضها مع البعض[1].

1- مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية:

هي العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة. وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكاً يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلّى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدث بلغة قومه . ولذلك، فإن الأنثروبولوجيا الثقافية :هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة[2].

1- محمد الجوهري ، شكري علياء، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، دار المعرفة القاهرة .2007، ص 38، 39.
2-بيلز رالف وهويجرا هاري، **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة، القاهرة، 1977. ، ص 21.

فهي تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها. كما تهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وتفسر بالتالي المراحل التطورية لثقافة معينة في مجتمع معين.

ولهذا استطاع علماء الأنثروبولوجيا الثقافية أن ينجحوا في دراساتهم التي أجروها على حياة الإنسان، سواء ما اعتمد منها على التراث المكتوب للإنسان القديم وتحليل آثارها، أو ما كان منها يتعلّق بالإنسان المعاصر ضمن إطاره الاجتماعي المعاش.

وهذا يدخل – إلى حد بعيد– فيما يسمى (علم اجتماع الثقافة) والذي يعني تحليل طبيعة العلاقة بين الموجود من أنماط الإنتاج الفكري، ومعطيات البنية الاجتماعية، وتحديد وظائف هذا الإنتاج في المجتمعات ذات التركيب التنضيدي أو الطبقي. ويتضمن هذا التعريف الاعتبارات التالية [1]:

- إن الحديث عن أنماط الإنتاج الفكري، يعني أن التجانس الثقافي بالمعنيين : الفلسفي والأنثروبولوجي، هو غير عمليات علم الاجتماع. أن هذا التجانس يغطّي وجوداً حقيقياً لأنماط مختلفة من الثقافة، قد تتناقض مضموناً ووظيفة في المجتمع الواحد. فعلى الرغم من وجود بعض العوامل (الأنثروبولوجية) المشتركة، فلا توجد موضوعياً في المجتمعات ذات التركيب الطبقي "" ثقافة للجميع "، حتى وإن ادعت أو أرادت هذه الثقافة لنفسها، أن تكون كذلك. فهناك من وجهة نظر اجتماعية نمطية ثقافية (ربما في ذلك أنماط الثقافة الجماهيرية) يفضي تصنيفها وتحليلها، إلى إبراز التمايز الاجتماعي الذي تعبر

1- لبيب الطاهر، **سوسيولوجية الثقافة**، دار الحوار، اللاذقية، 1987.، ص 24- 26.

عنه بالضرورة. وهذا يعني أن اجتماعية الثقافة في نهاية الأمر، هي اجتماعية التباين في الثقافة وعدم مساواة في المجال الثقافي.

- إن الحديث عن المجتمعات المنضدة (الطبقية) ليس حصراً بقدر ما هو تأكيد على أن الإنتاج الفكري هو تعبير عن مرحلة معينة من التمايز بين الأصناف الاجتماعية الاقتصادية. وأن استعمال مفهوم التركيب التنضيدي، **Stratification** على الرغم من غموضه، يقحم في حقل التحليل الاجتماعي مجتمعات تاريخية قبل رأسمالية، قد يكون مضمونها الطبقي محلّ نقاش. وعلى هذا الأساس، تكون المجتمعات الوحيدة التي تخرج من الحقل الاجتماعي، هي تلك التي تسمى عادة بالمجتمعات (البدائية)، والتي لم تصل فيها أنماط الإنتاج الفكري إلى درجة كافية من التمايز تسمح لها بتصنيف معين.
- ليس المهم من وجهة النظر التحليلية إثبات العلاقة بين الإنتاج الفكري والواقع الاجتماعي، بقدر ما هو تحليل أشكال هذه العلاقة في مرحلة معينة لمجتمع معين. ويعد هذا التحليل مصدراً أساسياً في المناقشات المتعلّقة بالروابط الموجودة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، والتي أفضت إلى تأكيد فكرة التبادل الدياليكتيكي القائم بينهما. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن اجتماعية الأدب والفن، ساهمت مساهمة متطورة في تحليل أشكال العلاقة بين الإنتاج الفكري، ومعطيات البنية الاجتماعية.
- إن تحديد الكيفية التي يحول بها إنتاج فكري، كالقص أو المسرح مثلاً، معطيات الواقع، لا يكفي، بل لا بد من إبراز الوظيفة الاجتماعية/السياسية لهذا الإنتاج، ولا سيما أن المنتجين ينتمون إلى فئات من المثقّفين يؤدون أدواراً قد يعونها أو لا يعونها لصالح أصناف أو طبقات اجتماعية معينة. وهذه الوظيفة ليست مظهراً ثانوياً أو تكميلياً، بل هي بعد من أبعاد العلاقة بين الثقافة والمجتمع، ولا يمكن تفسير أي حدث فكري من

دونها. وهي في الوقت ذاته، توجد حلا لما يسمى " استقلالية " القيم الفكرية والجمالية، وذلك من خلال اكتشاف وظيفة استمرارية هذه القيم، أو بعثها في ظروف تاريخية محددة.

إن دراسة الوسط الثقافي، تكشف عن الآلية السيكولوجية التي توجه سلوك الفرد، وتصرف النزعة العدوانية في مجالات تنفيس مهذّب. والمثال على ذلك في بعض النظم الاجتماعية، كما في طقوس (**الآبو Apo**) التي تمارسها قبائل **الآشانتي Ashanti** في ساحل الذهب في أفريقيا الغربية.

ففي احتفالات **الآبو**، لا يسمح فقط، بل يجب، أن يسمع أصحاب السلطة، السخرية واللوم واللعنات من رعاياهم بسبب المظالم التي ارتكبوها. ويعتقد رجال **الآشانتي** أن في هذا ضمانة لكي لا تتعذّب أرواح الحكام بسبب كبت استياء الغاضبين. ولولا ذلك، لأفضى تراكم الاستياء وتعاظم قوته، إلى إضعاف سلطة الحكام، بل وإلى قتلهم. ولا تتطلّب فعالية هذه الآلية (الفرويدية الجوهر)في التنفيس عن الكبت أي إيضاح. فهي تلقي ضوء أكبر على ما تقوم به من أشكال السلوك المنظّمة في نظم اجتماعية، من تصحيح لاختلال التوازن في نمو شخصيات الأفراد الذين تشملهم[1].

2- نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطورها:

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وربما يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنكليزي إدوارد تايلور الذي يعد من رواد الأنثروبولوجيا، والذي قدم أول تعريف شامل للثقافة عام **1871**م في كتابه

1- هرسكوفيتز مليفيل، **أسس الأنثروبولوجيا الثقافية**، وزارة الثقافة، دمشق، 1974.، ص 59.

" الثقافة البدائية " .وقد مرت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعددة، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر[1].

2-1 مرحلة البداية

وتمتد من ظهور هذه الأنثروبولوجيا وحتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم، والبحث أيضاً عن نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه الفترة إلى جانب العالم الإنكليزي تايلور، العالم الأمريكي بواز الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك من جانبين ؛ أولهما : إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل والعشائر، ومراحل تطورها. وثانيهما :أجراء مقارنة بين تاريخ التطور الثقافي، عند مجموعة من القبائل، بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادئ، تحكم نمو الثقافات الإنسانية وتطورها. وهذا ما يعطي أهمية للأنثروبولوجيا باعتبارها علماً له منهجيته الخاصة.

2-2 المرحلة الثانية:

وتقع ما بين **(1900 – 1915م)**، وتعد المرحلة التكوينية، حيث تركّزت الجهود في الأبحاث والدراسات، على مجتمعات صغيرة محددة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطورها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض

1-Barnouw, V Cultural Anthropology , Home wood Illinois. Irwen Inc 1972, p07.

واستناداً إلى ذلك، جرت دراسات عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا، وتوصل الباحث الأمريكي وسلر إلى أسلوب يمكن بوساطته من دراسة أي إقليم أو منطقة في العالم تعيش فيها مجتمعات ذات ثقافات متشابهة، أو ما أصطلح على تسميته بالمنطقة الثقافية. وقد شبه وسلر المنطقة الثقافية بدائرة، تتركّز معظم العناصر الثقافية في مركزها، وتقلّ هذه العناصر كلّما ابتعدت عن المركز.

2-3 المرحلة الثالثة:

وتقع ما بين (**1915 – 1930**م) وتعد فترة الازدهار، حيث تميزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثربولوجيا الثقافية، ولا سيما تلك الدراسات التي تركّزت في أمريكا.

ويرجع ازدهار الأنثربولوجيا في تلك الفترة، إلى نضج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه. وترافق ذلك بازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا، وظهور المدرسة الانتشارية في إنكلترا، ولا سيما بعد الأخذ بمفهوم المنطقة الثقافية الذي طرحه وسلر كإطار لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها، والتوصل إلى العناصر المشتركة بين الثقافات المتشابهة.

2-4 المرحلة الرابعة:

ومدتها عشر سنوات فقط، وتقع ما بين (**1930 – 1940**م). وعلى الرغم من قصر مدتها، فقد أطلق عليها الفترة التوسعية، حيث تميزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثروبولوجية العامة، وخصصت لها فروع ومقررات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات.

وظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية)التي تبنّاها سابير عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني، والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي، لدى أفراد مجتمع معين، حيث أن جوهر الثقافة هو في حقيقة الأمر، ليس إلاّ تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائق حياتية مشتركة.

وقد تأثّرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة– إلى حد بعيد– بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيما في مفاهيمها ومناهجها، وذلك بفضل الأبحاث التي قام بها كلّ من مالينوفسكي و**براون** في مجالات الأنثربولوجيا الاجتماعية.

2-5 المرحلة الخامسة:

وهي الفترة المعاصرة التي بدأت منذ عام **1940**، وما زالت حتى الوقت الحاضر. وتمتاز هذه المرحلة بتوسع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية، خارج أوروبا وأمريكا، وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينينية.

وترافق ذلك مع ظهور اتّجاهات جديدة في الدراسات الأنثربولوجية، كان الاتّجاه القومي في مقدمة هذه الاتّجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، والذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسة للثقافة القومية. وقد أخذت بهذا الاتّجاه الباحثة الأمريكية روث بيندكيت التي قامت بدراسة الثقافة اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية.

ويسمى الاتجاه القومي في تقييم الثقافة: "الانطوائية القومية " والتي تعني :أن الانسان يفضل طريقة قومه في الحياة، على طرائق الأقوام الأخرى جميعها .تلك هي النتيجة المنطقية لعملية التثقيف الأولى، والتي يتّفق بها شعور معظم الأفراد نحو ثقافتهم الخاصة، سواء أفصحوا عن هذا الشعور أو لم يفصحوا.

وتتجلّى الانطوائية القومية لدى الشعوب البدائية بأحسن أشكالها ، في الأساطير والقصص الشعبية، والأمثلة والعادات اللغوية .. فأسطورة أصل العروق البشرية لدى هنود (الشيروكي)تعطينا مثالاً حياً عن الانطوائية القومية. تقول الأسطورة:

"صور الخالق الإنسان بأن صنع أولاً فرناً وأوقد النار فيه، ثم صنع من عجينة ثلاثة تماثيل على شكل الإنسان، ووضعها في الفرن وانتظر شيها (شواءها). غير أن لهفة الخالق إلى رؤية نتيجة عمله الذي يتوج تجربته في الخلق، كانت من الشدة بحيث أخرج التمثال الأول مبكراً، فكان – وللأسف -غير ناضج شاحباً باهت اللون، ومن نسله كان العرق الأبيض. أما التمثال الثاني، فكان ناضجاً جيداً لأن مدته في الشواء كانت مضبوطة وكافية، فأعجبه شكله الأسمر الجميل، وكان هذا سلف الهنود. وانصرف الخالق إلى تأمل صورته، ناسياً أن يسحب التمثال الثالث من الفرن حتى اشتم رائحة الاحتراق . فتح باب الفرن فجأة، فوجد هذا التمثال متفحماً أسود اللون .. فكان ذلك مدعاة للأسف، ولكن لم يعد بالإمكان حيلة، وكان هذا أول رجل أسود"[1].

بهذه الصورة تبدو الانطوائية القومية لدى الكثير من الشعوب .. حيث يصر الإنسان الفرد على التعبير عن صفات قومه الحميدة .. ولهذا يحكم أي إنسان على النظام القيمي

1-هرسكوفيتز مليفيل، **مرجع سابق**، ص 72.

الاجتماعي لدى أي شعب آخر، من خلال العلاقة التي تربط هذا الشعب بشعبه، وفق درجة الرغبة والقبول في ذلك، والتي قد تصل إلى حدود الرفض المطلق أو القبول المطلق، وفقاً لمعايير عامة.

وكانت من أهم الاتجاهات الحديثة أيضاً في الأنثروبولوجيا الثقافية، تلك الدراسات التي عنيت بالمجتمعات المتمدنة، وما أطلق عليها " دراسة الحالة ". كدراسة أوضاع قرية أو عدد من القرى المتجاورة، أو في منطقة معينة، أو دراسة ثقافة خاصة بمجموعة أو بفئة من البشر. إضافة إلى دراسات أكاديمية تتعلّق بخصائص الأنثروبولوجيا الثقافية ومبادئها، ومناهج البحث فيها وطرائقها وأساليبها .. وغيرها مما يسهم في إجراء الدراسات على أسس موضوعية وعلمية تحقّق الأهداف المرجوة منها.

المحاضرة رقم 08

3- أقسام الإنثروبولوجيا الثقافية:

على الرغم من تعدد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتّفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسية، هي : (علم اللغويات – علم الآثار– وعلم الثقافات المقارن) وفيما يلي شرح لكلّ منها:

3-1 علم اللغويات:

هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحية، ولا سيما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحية المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنكليزية.

ويهتم دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

إن اللغة من الصفات التي يتميز بها الكائن الإنساني عن غيرى من الكائنات الحية الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متّفق عليها، ويمكن تعلّمها .. علاوة على أنّها وسيلة لنقل التراث الثقافي/الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث.

يحتلّ علم اللغة مكاناً ممتازاً في مجمل العلوم الاجتماعية التي ينتمي إليها؛ فهو ليس علماً اجتماعياً كالعلوم الأخرى، بل العلم الذي قدم إنجازات عظيمة، وتوصل إلى صياغة منهج وضعي ومعرفة الوقائع الخاصة. ولذلك، ارتبط علماء النفس والاجتماع والأثنوغرافيا بالحرص على تعلّم الطريق المؤدية إلى المعرفة الوضعية للوقائع الاجتماعية، من علم اللغة الحديث.

يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان. ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلّق بالمقومات العامة للغة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني. ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة.

وما يزال عدد من علماء الأنثروبولوجيا اللغوية، يدرسون اختلافات اللغة ليكتشفوا الادراكات والنماذج الفكرية المختلفة، في عدد وافر من الحضارات .ويدخل في ذلك، دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى (علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلام الفروقات الاجتماعية[1].

إن التشابه المنهجي الشديد بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من جهة، وعلم اللغة من جهة الأخرى، يفترض واجباً خاصاً من التعاون فيما بينها، حيث يستطيع علم اللغة أن يقدم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة، من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة التي لم تكن مدركة بصورة مباشرة، من قبل عالم الأنثربولوجيا أو عالم الاجتماع، وبذلك يلتقي علماء الأنثروبولوجيا، بهدف مقارنة الفروع التي

1 -Kottak, Phillip , Anthropology: the Exploration of Human Diverty , Mc Grow. Hill INC, New York.. 1994, p10

ينتجها هذان العلمان. ويقترب اللغويون من علماء الأنثروبولوجيا، آملين في جعل دراساتهم أكثر واقعية، وفي المقابل، يلتمس الأنثروبولوجيون اللغويين كلّما توسموا فيهم القدرة على إخراجهم من الاضطراب الذي ألقتهم فيه على ما يبدو، ألفتهم الزائدة مع الظاهرات المادية والتجريبية[1].

ولذلك، يلاحظ أن فرع اللغويات هو حالياً من أكثر فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، استقلالاً وانعزالاً عن الفروع الأخرى .فدراسة اللغات يمكن أن تجري دون اهتمام كبير بعلاقاتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، وهذا هو الواقع في حالات كثيرة .ومما لا شك فيه، أن اللغات – بما فيها من تراكيب معقّدة وغريبة، وما تنطوي عليه من تنوع هائل، ولا سيما عند الشعوب البدائية، تزود الباحث بمادة دراسية غنية لا يمكن حصرها[2].

ولذلك، يعطي ليفي ستروس أهمية بالغة لِلُّغَة ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أن اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى .ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤكّده في كتابه المناطق (المدارية الحزينة) والذي يعرف في العالم العربي باسم (الآفاق الحزينة) وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثروبولوجي، حيث يقول : " حين نقول الإنسان .. فإنّنا نعني اللغة وحين نقول اللغة ... فإنّنا نقصد المجتمع.".

1- ستروس كلود ليفي، **الأنثربولوجيا البنيوية**، ترجمة : صالح مصطفى ، وزارة الثقافة، دمشق، 1983، ص 49.
2- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، مرجع سابق**، ص 20.

وهذا ما دفعه إلى استخدام مناهج اللغويات الحديثة وأساليبها، في تحليله للمعلومات الثقافية، وكلّ مادة غير لغوية. كما جعله يعطي الكلمة (الدال) من الأهمية أكثر مما يعطي للمعنى (المدلول)، ولا سيما أن الدال الواحد (الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين، وذلك تبعاً. لاختلاف تجاربهما. بل أن الدال الواحد، قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه، وفي أوقات أو ظروف مختلفة[1].

وعلى الرغم من أن علماء اللغة لم يتمكّنوا من تحديد أسبقية لغة على الأخرى، فقد توصلوا من خلال دراساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها، في ثلاثة أقسام هي:

- **اللغات المنعزلة :** وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلاّ تلك الفئات المتحدثة بها. وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ.
- **اللغات الملتصقة** : وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنّها ملتصقة بهم وبتراثهم. وهي لغات معروفة، ولكن ليس لها قواعد، وإنّما تعتمد على المقاطع والكلمات، مثل اللغة الصينية.
- **اللغات ذات القواعد (النحو والصرف):** وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم المتحضرة، لها قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل : اللغة العربية، واللغات الأوربية[2].

1- أحمد أبو زيد، **الطريق إلى المعرفة**، مرجع سابق، ص 76.
2- زرقانة ابراهيم، **الأنثروبولوجيا**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص 148.

ومهما يكن هذا التقسيم، فإن اللغات المستعملة في العالم، جميعها، شُكّلت من أصوات متناسقة تدلّ على هذه اللغة أو تلك، وفق أصول وقواعد خاصة بها. ولهذا يقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعية، من أهمها : علم اللغات الوصفي، وعلم أصول اللغات.

3-1-1 علم اللغات الوصفي:

يهتم بتحليل اللغات في زمن محدد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد عالم اللغات في دراساته هنا على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى الأفراد، ولا سيما إذا كانت الدراسة متعلّقة بلغات لم تكتب. فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام الرموز المتعارف عليها.

ومهما يكن الأمر، فإن عملية تحليل اللغات وتصنيفها، كعملية تحليل الأجناس البشرية وتصنيفها، لا تشكّل إلاّ الخطوة الأولى لغيرها من الدراسات المهمة. فاللغات، على اختلاف أنواعها، تمثّل أداة قيمة في يد العالم .. ولا شك في أنّها ستساعده في النهاية، على التوصل إلى فهم أعمق لسيكولوجية الأفراد والمجتمعات. وتتركّز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي تستخدم اللغة الكلامية، ولم تعرف القراءة والكتابة. فلا يوجد مجتمع إنساني – مهما تخلّفت ثقافته – من دون لغة كلامية يتفاهم بها أبناؤه[1].

3-1-2 علم أصول اللغات:

يهدف إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية. ولذلك، يختص بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها، عن طريق وثائق

1- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق، ص 20.

مكتوبة. وتكون المشكلة أكثر تعقيداً بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك أية وثائق مكتوبة تدلّ عليها. ولكن ثمة وسائل خاصة يمكن للباحث أن يستخدمها في دراسة تاريخ تلك اللغات .وهناك علاقات تعاونية بين عالم اللغة، والأنثروبولوجي الثقافي، وذلك لأنه على كلّ من الأثنولوجي والأنثروبولوجي الاجتماعي، أن يدرس لغة المجتمع الذي يجري بحثه عليه.

وبناء على ذلك، تقدم علم اللغويات – في العصر الحاضر – وأصبح يستخدم مناهج علمية وآليات دقيقة، في دراسة لغات العالم .. واستطاع من خلال ذلك أن يتوصل إلى قوانين أساسية وعامة، لا تقلُّ أهمية في دقّتها عن قوانين العلوم الطبيعية[1].

ومن المحتم أن تثير (مورفولوجية) أية لغة، أسئلة بعيدة المدى تتّصل بميداني الفيزياء والقيم، فاللغة ليست مجرد أداة للاتّصال أو لاستثارة الانفعالات فحسب، وإنّما هي أيضاً وسيلة لتصنيف الخبرات. والخبرة هي أشبه ما تكون بخطّ متّصل الأجزاء، يمكن تقسيمه بطرق مختلفة[2].

ولذلك، فإن الدراسات اللغوية المقارنة، توضح أن الكائن البشري على الرغم من استخدامه لغة واحدة، فهو يقوم بعملية انتقائية غير واعية للمعاني التي يستخدمها. وذلك لأنّه لا يستطيع الاستجابة الدقيقة للمنبهات المتنوعة في محيطه الخارجي.

2-3 علم الآثار القديمة (الحفريات Archeology)

1- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، مرجع سابق، ص 31، 32.

2- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق، ص 21.

يعنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلّفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمة وثائق مدونة (مكتوبة)عنها.

ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيما الثقافات المنقرضة. ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، وربما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى. ومثال ذلك، أن اسم (توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفاً لدى الأوساط الشعبية العامة[1]. **(لينتون،1967، ص 22)**

وعلى الرغم من أن الهدف الأول من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلاّ أن الهدف النهائي يتمثّل في مساعدة القراء والدارسين، في تفهم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيرات . ومن المعروف لدى علماء الأنثروبولوجيا، أن الكتابة ظهرت منذ حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وما كتب من ذلك التاريخ معروف لدى الدارسين والباحثين، ويمكن بواسطة هذه الآثار المكتوبة معرفة الكثير عن الإنسان[2].

فعالم الآثار يعتمد في دراسته، على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثّل طبيعة ثقافاته وعناصرها. وقد توصل علماء الآثار إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوقّع وجود بقايا حضارية فيها. كما توصلوا إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتحديد مواقعها، وتصنيفها من أجل التعرف إليها، ومن ثم مقارنتها بعضها مع بعض. ويستطيع

1- المرجع نفسه، ص 22.

2- ناصر ابراهيم، **مرجع سابق**، ص 62.

علماء الآثار باستخدام تلك المناهج، استخلاص الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيراتها، وعلاقة كلّ منها بغيرها.

ويستخدم علماء الأنثروبولوجيا بقايا المواد كمعطيات رئيسة لاستخدام المعرفة العلمية والنظرية، حيث يقوم علماء الآثار بتحليل النماذج الحضارية والتطورات التي طرأت عليها، فتكشف النفايات عن الأوضاع الخاصة بالاستهلاك والنشاطات.

فالحبوب البرية والحبوب المنزلية مثلاً : تمتلك خصائص مختلفة تسمح لعلماء الآثار أن يميزوا بين النبات الذي تم جلبه، وذلك الذي تمت العناية به محلياً. كما يكشف فحص عظام الحيوانات، عن أعمار هذه الحيوانات التي تم ذبحها، ويزود بمعلومات الأخرى مفيدة، تحدد فيما إذا كانت هذه الأنواع برية أو مدجنة. ويقوم علماء الآثار من خلال بحثهم في هذه المعلومات، بإعادة بناء نماذج الإنتاج والتجارة والاستهلاك[1].

ومع أن الهدف القريب الواضح للأبحاث (الأرخلوجية)، هو استكمال معارفنا ومعلوماتنا عن ماضي الإنسان، فإن الهدف النهائي هو مساعدتنا في تفهم العمليات المتّصلة، بنمو الحضارات وازدهارها وانهيارها، وإدراك العوامل المسؤولة عن هذه الظاهرات التاريخية. وقد أصبحت نتائج الدراسات(الأرخلوجية) المتّصلة بعمليات التطور، مألوفة لدى العلماء الأنثروبولوجيين جميعهم، والذين يعنون بدراسة ظاهرات التغيير الثقافي[2].

ولذلك، يلجأ علماء الآثار – الأنثربولوجيون – إلى الاستفادة من أبحاث علماء الجيولوجيا والمناخ، للتحقّق من (هوية) البقايا التي يكتشفونها، وتاريخ وجودها. كما يتعاون علماء الآثار أيضاً، مع المتخصصين في الأنثروبولوجيا الطبيعية، وذلك لكثرة وجود (اللُقى)

1-Kottak, Phillip , Anthropology: the Exploration of Human Diverty , Mc Grow. Hill INC, New York.. 1994, p08.

2- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق ، ص 24.

الإنسانية في الحفريات، مع البقايا الثقافية .وقد نجح علماء الآثار المحدثون، في استخدام (الكربون المشع) كوسيلة لتحديد عمر " البقايا " بدقّة[1].

ويمكن القول – بوجه عام – إن علماء الآثار القديمة، يحاولون اكتشاف ذلك الجزء من التاريخ الماضي الذي لا تتعرض له السجلاّت المكتوبة. ويقبل عالم الآثار القديمة على ميدان اختصاصه بحماسة، لأن عمله يقترن بمجموعة من الدوافع والمثيرات المغرية، كالرغبة في إجراء أبحاث علمية شائقة، واحتمال العثور على كنوز ثمينة[2].

فعلم الآثار إذاً، يدرس تاريخ الإنسان وما رافقه من تغيرات ثقافية، في محاولة لبناء تصور كامل عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات القديمة، مجتمعات ما قبل التاريخ. وإذا كان علم الآثار يعتمد – إلى حد ما على التاريخ – فإنّه يختلف عن علم التاريخ في أنّه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرخة، وإنّما يدرس تلك الفترات التي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة وتدوين التاريخ.

3-3 علم الثقافات المقارن (الأثنولوجيا):

تعتبر الأثنولوجيا من أقرب العلوم إلى طبيعة الأنثروبولوجيا، بالنظر إلى التداخل الكبير فيما بينهما من حيث دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها، وميزاتها السلالية والثقافية والاقتصادية، بما في ذلك من عادات ومعتقدات، وأنواع المساكن والملابس، والمثل السائدة لدى هذه الشعوب.

ولذلك، تعد الأثنولوجيا فرعاً من الأنثروبولوجيا، يختص بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات البشرية، والأصول الأولى للإنسان. وترجع لفظة (أثنولوجيا) إلى الأصل

1- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت .1971، ص 31.
2- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق ، ص 31.

اليوناني(أثنوس **Ethnos**) وتعني دراسة الشعوب .ولذلك تدرس الأثنولوجيا، خصائص الشعوب اللغوية و الثقافية والسلالية[1].

وتعتمد الأثنولوجيا في تفسير توزيع الشعوب – في الماضي والحاضر – على أنّه نتيجة لتحرك هذه الشعوب واختلاطها، وانتشار الثقافات التي ترجع إلى كثرة الحوادث المعقّدة، التي بدأت مع ظهور الإنسان منذ مليون (ملايين) من السنين. فهي تبحث، مسألة المصادر التاريخية للشعوب، من أين أتت قبائل الهنود الحمر؟ مثلاً، وأي طريق سلكت؟ ومتى احتلّت هذه الشعوب المناطق الموجودة فيها الآن، وكيف؟ ومن أية جهة تسلّلت إلى أمريكا؟ وكيف انتشرت فيها؟ ومتى ظهرت أجناس الهنود الحمر؟ وما هي الميزات اللغوية والملامح الثقافية التي نشرتها ثقافة الهنود الحمر، قبل احتكاكها بالثقافة الأوروبية؟ وغير ذلك مما يفيد في الدراسات الوصفية المقارنة للمجتمعات الإنسانية وثقافاتها[2].

وتدخل في ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكلّ منها، دراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة. أي أنّه العلم الذي يبحث في السلالات القديمة وأصولها وأنماط حياتها، كما يبحث في الحياة الحديثة في المجتمعات الحاضرة، وتأثّرها بتلك الأصول القديمة

ولذلك، تعرف الأثنولوجيا بأنّها: دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطورها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلاً تاريخياً[3].

1- اسماعيل قباري، **الأنثروبولوجيا العامة**، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1973.، ص 460.

2- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، مرجع سابق، ص 81.

3- كلاكهون كلايد، **الإنسان في المرآة**، ترجمة : شاكر سليم، بغداد، 1964، ص 31.

ويبحث علم الأثنولوجيا في طرائق حياة المجتمعات التي لا تزال موجودة في عصرنا الحاضر، أو المجتمعات التي يعود تاريخ انقراضها إلى عهد قريب، وتتوافر لدينا عنه سجلاّت تكاد تكون كاملة. فلكلّ مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، وهي التي يطلق عليها العلماء الأنثروبولوجيون مصطلح " الثقافة ." ويعد مفهوم الثقافة من أهم الأدوات التي يتعامل معها الباحث الأثنولوجي[1].

ومن ميزات الأثنولوجيا، أنّها تعتمد عمليتي التحليل والمقارنة ، فتكون عملية التحليل في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر. وتدرس الأثنولوجيا الثقافات الحية (المعاصرة) والتي يمكن التعرف إليها بالعيش بين أهلها، كما تدرس الثقافات المنقرضة (البائدة) بواسطة مخلّفاتها الأثرية المكتوبة والوثائق المدونة. وتهتم إلى جانب ذلك، بدراسة ظاهرة التغيير الثقافي من خلال البحث في تاريخ الثقافات وتطورها[2].

وقد كان هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية، يلقى اهتماما قليلاً قياساً للفروع الأنثروبولوجية الأخرى، حيث قام بعض علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، بدراسة الطرائق التي تؤثّر من خلالها المفاهيم الاجتماعية المحدودة في سلوك الأشخاص وأمزجتهم، ومعرفة الحياة الإنسانية للشعوب التي ما زالت تحيا حياة بسيطة، ولا سيما تلك الشعوب التي تعيش في : أستراليا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، وفي بعض المناطق في آسيا.

وكان علماء الأثنولوجيا، وإلى عهد قريب جداً، يقصرون أبحاثهم في الظواهر الاجتماعية والإنسانية للمجتمعات الثقافية. وكانوا يعتبرون الفرد كما لو أنّه مجرد ناقل للثقافة، أو حلقة من سلسلة من الوحدات المتماثلة التي يمكن أن تستبدل الواحدة منها

1- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق ، ص 25.

2- عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار المعارف بمصر، 1977، ص 30.

بالأخرى. ولكن، وبعد دراسات عديدة، تبين لهؤلاء العلماء أن المعايير الشخصية، تختلف باختلاف الأفراد والمجتمعات والثقافات[1].

فمنذ البدايات الأولى لتطور الأبحاث الأثنولوجية، والعلماء يحاولون اكتشاف الأسباب التي تجعل مجتمعات معينة، تطور محاور اهتمام خاصة بها، وتتقبل أو تنبذ تجديدات مختلفة من النوع الذي يبدو أنّه لا ينطوي على أية عوامل نفعية، وكذلك الأسباب التي تجعل الثقافات المتنوعة تعكس – بصورة منتظمة – اتّجاهات مختلفة في تطورها. وساد الاعتقاد حيناً من الزمن أن هذه الظاهرات يمكن عزوها إلى وقائع تاريخية عارضة، غير أن هذه النظرية هي ضرب من الافتراض الجدلي الذي لا يستند إلى أي برهان أو دليل[2].

ويتّفق معظم العلماء على أن مصطلح (أثنوجرافيا) يطلق على الدراسة التي تعمد إلى وصف ثقافة ما في مجتمع معين، بينما يطلق مصطلح (أثنولوجيا) على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة. فالأثنولوجي يهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية، ولظاهرة التغيير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفة، كما يهدف الأثنولوجي أيضاً إلى تصنيف الثقافات ضمن مجموعات أو أشكال، على أساس مقاييس (معايير) معينة[3].

وهذا يعني أن الأهداف النهائية للعالِم الأثنولوجي، هي في الأساس، مماثلة لأهداف عالِم الاجتماع وعالِم الاقتصاد .. فكلّ عالم من هؤلاء، يحاول أن يفهم كيف تعمل المجتمعات والثقافات؟ وكيف ولماذا تتغير الثقافات؟ كما يحاول أن يتوصل إلى تعميمات

1- ناصر إبراهيم، مرجع سابق، ص 66.

2- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق، ص 32.

3- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، مرجع سابق، ص 25.

معينة، أو " قوانين " بحسب المصطلح الدارج للمفهوم، لتساعده في التنبؤ باتّجاه سير الأحداث، بقصد التحكّم به في النهاية[1].

فإذا كان القول بأن الأثنولوجيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة رأسية، أي دراسة مقارنة زمانية تاريخية لثقافات الماضي، مع متابعة دراسة تلك الثقافات وتطورها ومقارنتها عبر التاريخ، فإن الأثنوجرافيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة أفقية محددة المكان، وهكذا تكون الأثنولوجيا دراسة مقارنة في الزمان، بينما تكون الأثنوجرافيا دراسة مقارنة في المكان[2].

وكان من نتائج الاحتكاك بين علم الاجتماع وعلم الأثنولوجيا، أن تزود علم الاجتماع بأساليب جديدة ثبت أنّها ذات قيمة خاصة للباحث الاجتماعي، الذي يعنى بدراسة المجتمعات الحديثة الصغيرة. أضف إلى ذلك، أن الاحتكاك بين العلمين وسع مجال علم الاجتماع، وأدى بالتالي إلى تغير بعض صيغه النظرية[3].

لقد تبلورت الأثنولوجيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وشكّلت ما يمكن الإشارة إليه بالأنثروبولوجيا المعاصرة. وساعد على هذا الاتجاه ودعمه، ازدياد عدد الأنثوبولوجيين في البلدان النامية، بعد إن كانت هذه المهنة وقفاً على الباحثين الغربيين. ولم تعد الأثنولوجيا تقصر مجال دراستها على المجتمعات الصغيرة الحجم، أو المحلية ذات الثقافات غير الغربية، وإنّما اتجهت لتوسيع مجالها بحيث تشمل الثقافات والمجتمعات كلّها، وعلى اختلاف حجمها وموقعها[4].

1- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق، ص 31.

2- اسماعيل قباري، **مرجع سابق**، ص 26.

3- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سابق، ص 32.

4- حسين فهيم، **مرجع سابق**، ص 32.

غير أن هذا التنوع الذي اتصفت به الأثنولوجيا في القرن العشرين، أدى إلى حدوث بعض التضارب في الدراسات، وهذا ما أفقدها الكثير من الاستقرار الأكاديمي، علاوة على تمسكها بالنواحي المنهجية أكثر من توصلها إلى نظريات علمية، الأمر الذي أثار العديد من التساؤلات حول كيفية دراسة الثقافات الإنسانية وعلميتها، وصلتها بقضايا الإنسان المعاصر.

المحاضرة رقم 09

إن مفهوم الفن باعتباره مجرد تأمل جمالي، هو نموذج للحضارة الصناعية، وتعتبر مفهومًا مفيدًا جدًا للدراسات عبر الثقافات، حيث أن غالبية الأشكال الفنية التي نراها في المتاحف والكتب الفنية التي أتت من أمريكا الأصلية أو إفريقيا أو أوقيانوسيا، هي أشياء كانت ذات يوم جزءًا من مجموعة فنية أكبر تم استخراجها منها. والباحث الأنثروبولوجي بحاجة إلى محاولة التجميع معًا وتخيل السياق الفني بالإضافة إلى السياق الثقافي إذا أرد الوصول إلى إحساس أعمق بالاستيراد أكثر مما توفره القطعة المتاحة للاستخدام. وحتى مع ذلك، يكاد يكون من المستحيل تحديد الكل الفني .وربما من الأفضل أن نعتبر هذه القطع أجزاءً من نمط حياة الناس.

1- أنثروبولوجيا الفن

ظهر ما يعرف بأنثروبولوجيا الفن حيث يركز الأنثروبولوجيون اهتمامهم على دراسة فنون الشعوب والمجتمعات، فضلا عن الاهتمام بالتقاليد الفنية التي تتضمنها الثقافات القديمة والثقافات الشعبية أو تلك الفنون التي تنتمي إلى الأقليات العرقية، كما أن دور الفنان في هذا المجتمعات هو دور ثابت ومحد وقلما يتميز بوجود من الاختلاف ، ويعود سبب ذلك إلى ان الإنتاج الفني يتناسب بصفة عامة بطريقة شاملة مع أهداف القطاع الأكبر من أفراد المجتمع وكل هذه الفنون تمثل أهمية ثقافية كبيرة ، فهي تراثة فني شعبي تشكيلي يمثل جزءا هاما من الثقافة، وهنا نتساءل على لماذا يدرس علماء الإنسان الفن؟.

لقد وجد علماء الانثروبولوجيا أن الفن يعكس الاهتمامات والقيم الحضارية للناس، وهذا يبدو واضحا في الفنون الحية والقصص والحكايات والأساطير، ومن ذلك استطاع

العلماء أن يعرفوا كيف يتعامل الناس مع البيئة والحياة، من حولهم وربما أيضا علموا منها تاريخ الشعوب، أيضا الموسيقى والفنون المرئية تلقي الضوء على نظرة الناس للحياة، ومن خلال الدراسات المتنوعة أمكننا توفير المعلومات عن تاريخ الشعوب وثقافتهم المختلفة، وتناول الفن كظاهرة ثقافية يجعل الانثروبولوجي يقوم بمهمة تصنيف وتصوير وتسجيل ووصف كافة الأشكال المحتملة للأنشطة التحليلية في أي ثقافة، ويوجد هناك تنوع كبير من أشكال ووسائل التعبير الفني في العالم، لأن الناس في كل مكان يستمرون في خلق وتطوير اتجاهات جديدة، فليس هناك يمكن التنبؤ بها في عملية جمع ووصف الزينة والحلي وأدوات الزينة الجسدية، وتشكيلات الملابس والاغطية ...، علاوة على المعمار والآثار والأساطير والرقصات ... وصور فنون الأخرى، فلكل عمل فني خصائص وأساليب ، ففكرة أسلوب أو خاصية معينة هي طريقة وصف وتصنيف الاعمال الفنية لا تقييمها، فالأسلوب نوع من النمط الفني، والأسلوب نمط مركب من الفن، ولتحديد أسلوب من الأساليب يجب دراسة عدد من السمات التي تشير إلى مكونات العمل الفني، وأجزائه وجوانبه، وقد يؤثر الأسلوب والأحوال الاجتماعية الموروثة والأفكار والمعتقدات السائدة في المجتمع، والأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الأساليب وطرق التعبير المختلفة وكم العادات والمعتقدات المتوارثة، ومن ثم خصص فرع خاص من فروع الأنثروبولوجيا لدراسة الفن، وللفن مكانه الطبيعي باعتباره نشاطا إنسانيا حيث يصدر عن الانسان من أجل الإنسان، وغذا وجهنا نظرتنا إلى دوره التقليدي في تعريف المجتمع بذاته وتمجيد المواقف النبيلة في الحياة فهو يخضع لعمليات وحتميات التطور، بل ويتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه، وإن الفنان وإنما يمارس تجربته بأسلوب يتجدد بطبيعة البيئية وظروف المجتمع ومنهجه في العمل والفكر ومن هذا يكون الناتج عن التجربة شيئا وثيق الصلة بالجماعة، محققا لمطالبها العقلية والنفسية جامعا بين الجمال

والنفع، فحيث كان على الإنسان البدائي أن يتعلم كيف يعيش قبل أن يعرف سبل الحياة الجميلة، أو يحتفل بخلق أشياء جميلة، حيث لم يكن الإنسان راغبا في الجمال الحسي أو المتعة الخيالية، ليعبر عن هذا الاتجاه زمرة من الأنثربولوجيين.

فالفن لا يقلد افرادا ولا جزئيات، بل هو تقليد الشيء كله في فرد، وقد تهتم الأنثروبولوجيا في فروعها المختلفة بدراسة البناء الثقافي للظاهرة، وليس الجزء. فالفن يرى الإنسان في إنسان، والأنثروبولوجيا يختص بكل ما يتعلق بالإنسان ودراسة كافة جوانبه الثقافية والاجتماعية.

وقد اهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة الفن منذ النشأة وعلماء الانثروبولوجيا أمثال كلود ليفي ستروسو أيضا الناقد جورج شارونيه فقد قارن ليفي ستروس بين إبداع الطبيعة واعمال الفن وعرض بالتفصيل لفكرته الأساسية عن التعارض بين الطبيعة وصنع الإنسان لثقافته، والدليل على ذلك حين تعرض للمقارنة بين الطبيعة والفن لبعض اعمال الرسام الفرنسي "جوزيف كلود مونيه" إلى لوحاته التي تصور وتعرض بدقة بعض المناظر الطبيعية الخلابة، وكانت من أروع أعماله، وعلى الرغم من ان هذه الاعمال انتقدت لعدم ملاءمتها للواقع في أوروبا من متطلبات الذوق الفني فإن رأى "ليفي ستروس" أن هذه اللوحات أبرزت تفاصيل دقيقة واعطت فكرة واضحة عن العلاقة بين الطبيعة والفن وعن أصالة الخلق الإبداعي.

هي مجال فرعي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية مخصص لدراسة الفن في سياقات ثقافية مختلفة، حيث تركز أنثروبولوجيا الفن على الأبعاد التاريخية والاقتصادية والجمالية في الأشكال الفنية غير الغربية، بما في ذلك ما يعرف باسم الفن القبلي[1].

1- محمد الجوهري، **مرجع سابق**، ص 27.

2- تاريخ أنثروبولوجيا الفن:

أجرى فرانز بواس، أحد رواد الأنثروبولوجيا الحديثة، العديد من الدراسات الميدانية للفنون، مما ساعد على إنشاء أساس لهذا المجال، ويلخص كتابه، الفن البدائي عام **1927**، رؤيته الرئيسية فيما يسمى بأشكال الفن البدائية، مع دراسة حالة مفصلة عن فنون ساحل شمال غرب المحيط إلىادئ. كما أخذ عالم الأنثروبولوجيا الشهير كلود ليفي شتراوس تحليلات بواس في كتابه طريق الأقنعة، حيث تتبع التغييرات في الشكل البلاستيكي لأقنعة شمال غرب المحيط إلىادئ إلى أنماط التفاعل بين الثقافات بين الشعوب الأصلية للساحل[1].

3- مساهمات علماء الأنثروبولوجيا في مجال الأنثروبولوجيا الفنية:

تُظهر المساهمات الأساسية التي قدمها فرانز بواس في مجال الأنثروبولوجيا الفنية التغييرات البيولوجية اللازمة للإنسان لتطوير القدرات الإبداعية، وتشمل هذه التغييرات التنسيق الدقيق بين اليد والعين، وتحسين أنظمة معالجة المعلومات، وتحسين الوعي الجمالي وتحديد الأولويات، والتدريس الموجه نحو العمليات، والتقدم في الاتصال، وتطبيق المفاهيم المجردة، حيث يتم تمكين الأفراد الذين طوروا مثل هذه التطورات الهيكلية والمعرفية لإنتاج الفن وسيتم اختيارهم تطوريًا[2].

كما نشرت إلين ديسانایاكي عملاً يساهم في هذا المفهوم وتشير إلى أن الإبداع كان يمارسه فقط الأفراد الأكثر ملاءمةً ضمن السكان، نظرًا لأن المشاركة الفنية ليست واجبًا أساسيًا، فلا يمكن إنتاجها إلا بمجرد الانتهاء من مهام البقاء على قيد الحياة، وبالتالي، يمكن

1- **المرجع نفسه**، ص 27.

2-زرقانة إبراهيم، **مرجع سابق**، ص 17.

للأفراد الذين يتمتعون بأعلى لياقة بدنية المشاركة، وهذا يمثل اختيار الأفراد الفنيين، حيث أن اللياقة البدنية تصاحب المشاركة في النشاط الترفيهي[1].

وتناولت جيليان موريس في أنثروبولوجيا الفن أنماطًا فنية أولية مثل التعرج والتقاطع والخطوط المتوازية. ويشير استخدام الأنماط إلى التقدم في الإدراك ويشير إلى خطوة تطورية نحو زيادة التعقيد في القدرة التخيلية والتفسيرات المبكرة للشكل الإنساني، كما وتعكس هذه الخطوة التطورية التي تشير إلى وعي وعلم التشريح وظيفة رمزية في الأنثروبولوجيا الفنية.

4- مشكلة أنثروبولوجيا الفن:

تتعلق إحدى المشكلات المركزية في أنثروبولوجيا الفن بعالمية الفن كظاهرة ثقافية، حيث لاحظ العديد من علماء الأنثروبولوجيا أن الفئات الغربية من الرسم أو النحت أو الأدب، التي تم تصورها على أنها أنشطة فنية مستقلة، لا توجد، أو توجد في شكل مختلف تمامًا، في معظم السياقات غير الغربية. وبالتالي، لا يوجد إجماع على تعريف واحد متعدد الثقافات للفن في الأنثروبولوجيا .وللتغلب على هذه الصعوبة، ركز علماء الأنثروبولوجيا في الفن على السمات الشكلية في الأشياء، دون أن تكون "فنية" حصريًا، والتي لها بعض الصفات الجمالية الواضحة.

حيث أن الفن البدائي لبواس، وكلود ليفي شتراوسعام **1982** أوالفن كنظام ثقافي لجيرتس عام **1983** هي بعض الأمثلة في هذا الاتجاه لتحويل أنثروبولوجيا الفن إلى أنثروبولوجيا جماليات خاصة ثقافيًا. وفي الآونة الأخيرة، في كتابه الفن والوكالة، اقترح ألفريد

1-محمد الجوهري وآخرون، **الانثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2004، ص 15.

جيل تعريفًا جديدًا لأنثروبولوجيا الفن كنظام معقد من القصد، حيث ينتج الفنانون أشياء فنية لإحداث تغييرات في العالم، بما في ذلك (على سبيل المثال لا الحصر) التغييرات في الجمالية كتصورات جمهور الفن، حيث أثارت أفكار جيل جدلًا كبيرًا في أنثروبولوجيا الفن في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين[1].

1- كاظم سعد الدين، دراسة الانثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، دار الحكمة 2010، ص 35.

المحاضرة رقم 10

تعددت النظريات الأنثروبولوجية التي نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان، سواء أكانت ثقافية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية، جمالية او فنية...الخ. ولكل منها رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرا لهذه الجوانب والمجالات، هذا من جهة، أما من جهة الأخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث الأنثروبولوجي، وعلى انه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج من خلال التاريخ المؤسس للأنثروبولوجيا، انطلقت جهود التنظير العلمي في بناء نظريات شاملة لمعطيات امبريقية وفكرية ومنهجية تفسيرية، بحيث تفّرقت وتعّددت في اتجاهات ونظريات أهمها التطورية، الانتشارية، البنائية الوظيفية والنفسية.

1- النظرية التطورية الاجتماعية:

نبدأ بالطرح **الداروينـي** الذي يشير إلى أن الاستمرار وبقاء المخلوقات في ظل التغيرات والتحولات البيئية، يتطلب حتمية التكيف مع الظروف الجديدة، من خلال صفات وقدرات تسمح لها بتحقيق الموائمة البيئية الضرورية للاستمرار والبقاء ومقاومة التغيرات الخارجية. وبذلك فإن الأكثر قدرة واستعدادا هم الذين يصمدون وغير معرضون للزوال، فالتطور هو التغير للتكيف الأحسن مع المحيط[1].

وهذا ما يفسر خضوع الكائنات العضوية إلى مبادئ التطور والتكيف والصراع من أجل البقاء. ويستند **تشارلز داروين *Charles Darwin*** إلى مجموعة عوامل مؤثرة في عملية

1 - Robert Deliège: Histoire de l'anthropologie, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006, p 16.

التطور الاجتماعي، أهمها: التحول، التوالد، التنازع على البقاء والبقاء للأقوى. حيث طبقت هذه المبادئ في تفسير نشأة وظهور النظم الاجتماعية، أين حاول علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون تطبيقها على الإنسان العاقل لمعرفة مراحله التطورية.

وبصورة عامة تم تدعيم هذه الأفكار ضمن الأبحاث العلمية التي أوضحت أن الحياة قد نشأت من البسيط إلى المعقد، فهي لم تنشأ دفعة واحدة، والإنسان قد نشأ في سيرورة هذا التطور العضوي عبر البعد الزمني، خاصة فيما يتعلق بصفاته إلبيكلية والمظهرية (الشكلية) ..[1]

لقد تأثر أنصار الاتجاه التطوري بالتطور الأحيائي في الجوانب الثقافية والمادية والروحية، بحيث ربطوا بين عناصر الثقافة وبين مؤسساتها بشكل كلي، لكون الثقافة تشكل كيانا متكامل الأجزاء. لذلك من الضروري حسبهم المقارنة بين الثقافات البشرية عن طريق نظم تطورها أو مقارنة مؤسساتها ببعضها البعض، لأن البشرية لا تسير في وتيرة واحدة خلال عملية التطور الثقافي، وإنما في اتجاه متباين. لذلك فإن التنوع الثقافي بين الشعوب هو تطوري، الأمر الذي يلزم الشعوب الأقل تطورا في المستوى الثقافي، أن تلحق في فترة غير بعيدة زمنيا بالشعوب المتقدمة، لأن التقدم نحو الأفضل هو الغاية الأساسية من التطور العضوي والثقافي عند الأنسان.

1- علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم الأقوام-**، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-سوريا، 2007، ص 325.

ويتمسك التطوريون الثقافيون الاجتماعيون بفكره أن البشر جميعا متساوون في وحدة التفكير والسلوك رغم اختلاف انتماءاتهم السلالية والثقافية. فكل الثقافات الإنسانية محكوم عليها بالتطور، وأن الفروقات البشرية هي نتاجا للأوساط الطبيعية والجغرافية[1].

لذلك، فإن فكرة التطور الحضاري ا خطيا عموديا تصاعديا لما أنجزه الإنسان عبر مراحل حضارية مميزة بخصائصها، فالإنسان واحد في تركيبته وتكوينه النفسي والبيولوجي منذ أن وجد وتطور كمجموعات بشرية أولى متماثلة ومتطابقة. والاختلافات في القدرات والذكاء هي مرتبطة باختلاف المعطيات الوراثية وأصل السلالات، وبالتالي لا مجال للقول بالحتمية التاريخية، مادامت هناك إمكانية حدوث الوضعية الحضارية في أي فترة زمنية.

1-1 لويس هنري مورغان Lewis Henry Morgan (1818-1881م)

أنثروبولوجي ومحامي، بدأت دراسته على سكان الشمال الشرقي الأمريكي (الإيروكيز)، حيث لاحظ فيها بعد العديد من الزيارات، انتشار النظام الأمومي القرابي، الأمر الذي جعله يستفسر من بين المبشرين عن أشكال الأنظمة القرابية في المجتمعات التي يقومون في النشر فيها، فتمكن من المقارنة بين **250** نظاما قرابيا في العالم.

ومن أهم إسهاماته خاصة من خلال زياراته الميدانية، أنه اكتشف تناقضا في العلاقات القرابية وواقعها الفعلي لدى الإيروكيز، إذ أن أبناء العم والعمة في هذا المجتمع، يطلق عليهم أشقاء وشقيقات. أما أبناء الخال والخالة، فيسّ مون أبناء العم. الأمر الذي جعله يقوم بتحقيقات يراجع فيها نظام القرابة ومصطلحاته، كما سبق في **960**مجتمعا في العالم. وتوصل إلى أن أغلب الأنماط القرابية السائدة في المجتمعات الأخرى كانت موجودة ومنتشرة

1- علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم الأقوام-**، مرجع سابق، ص 328.

في مرحلة سابقة للوجود البشري ثم انقرضت. وبناء على ذلك ، أعاد بناء تطور النظام القرابي على أربعة مراحل.

اتسمت المرحلة الأولى بعدم وجود نظام للمحرمات، فالإخوة والأخوات والأبناء والأولاد كانوا أزواجا وزوجات، بمعنى سيادة الاختلاط الجنسي في شكل قطيع بدائي. وكانت المرحلة الثانية هي بداية تحريم الزواج من الفروع والأصول مع استمراريته من الإخوة والأخوات، بحيث يتماثلون كأزواج وزوجات. لكنه تم منع هذا الزواج المختلط للإخوة والاخوات في المرحلة الثالثة، لكن من نسل الأم فقط ليمتد بعد ذلك للإخوة والأخوات من جميع الحواشي، وبذلك يصبح الرجال أزواجا لنساء لسن أخوات والنساء زوجات لرجال ليسوا إخوة، مع بقاء النسل من جهة الأم، وهو النمط المنتشر في مجتمع الإيروكيز. وتأتي المرحلة الرابعة، أين تحول النسب من الأم إلى الأب، نتيجة ظهور نظام تربية المواشي والزراعة وتحول الملكية إلى الرجل، فانتقل المجتمع من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي. ومع تطور هذا النظام، برز النظام الزواجي الحديث[1].

وعموما، فإّن ما يمّيز **لويس هنري مورغان،** أّنه معاينا مباشرا لعادات السكان المحليين، بما ساعده ذلك على تأكيد فكرة الأصل المشترك، خاصة فيما يتعلق بالبراهين التي جمعها واستخلصها من مصطلحات القرابة، والتي رتّبها إلى مجموعتين: أنساق القرابة غير الأحيائية ، بمعنى معرفة اجتماعية، وأنساق قرابة وصفية.

وحسبه، فإن تاريخ البشرية قد مّر بثلاثة مراحل متتالية هي إلبمجية، البربرية والحضارة، وذلك من خلال أو بفعل التغيرات التقنية والاقتصادية والتحولات المؤسساتية. لكن

1- خواجة عبد العزيز بن محمد، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية-محاضرات موجهة لطلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة غرداية- الجزائر، 2014-2015، ص 40، 41.

أفكاره هذه لاقت العديد من الانتقادات أهمها اعتماده على التخمين دون حجج أكيدة. فضلا عن مبالغته في وصف وتصنيف الشعوب[1].

أما إسهاماته فيما يتعلق بتطور المجتمعات الإنسانية، فقد أدرجها في ثلاثة مراحل، حيث تمثل كل مرحلة نمطا ثقافيا تقاس على أساسه أشكال العلاقات والنظم السائدة، وحسب اعتقاده، فإن كل المجتمعات تمر بنفس السيرورة المرحلية التي رسمها لتطور المجتمعات البشرية. فضلا عن أن كل مرحلة تحوي بداخلها مراحلها الفرعية الخاصة بها

ويرى **لويس هنري مورغان** أن بداية هذا التطور تكون مع مرحلة التوحش أو الهمجية، والتي يصنفها إلى مرحلة توحش دنيا–وسطى–عليا. حيث تمثل مرحلة التوحش الدنيا الطفولة الإنسانية الشبيهة بالحياة الحيوانية، أين كان الطفل يتغذى على النباتات والثمار التي يلتقطها ويجمعها، وهي غير متواجدة حاليا. ثم تأتي مرحلة التوحش الوسطى، وهي أكثر تقدما من الأولى، أين بدأ يكتشف هذا الكائن الحي الطبيعة واستغلالها لتلبية حاجاته البيولوجية من أجل المحافظة على بقاءه، مثل اكتشاف النار واستعمالها لطهي الطعام وإنارة كهوفهم. ثم تطور أكثر في مرحلة التوحش العليا، والتي اكتشف فيها كيفية الاعتماد على نفسه وتحقيق تكيفه مع البيئة المحيطة به، فأصبح يصطاد طعامه بنفسه، وانتقل من جامع للطعام إلى منتج لغذائه.

ومن مرحلة التوحش إلى مرحلة البربرية التي انتقل فيها الإنسان إلى إبداعات جديدة في الإنتاج والتصنيع، وبالتالي الخروج من عزلته وتشكيل الجماعات الاجتماعية. وهي بدورها تنقسم إلى مرحلة بربرية دنيا، وسطى، عليا. ففي المرحلة البربرية الدنيا بدأ بصناعة

1- روبرت لوي، **تاريخ الإثنولوجيا من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية**، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1992.، ص 49.

الفخار وطّور إبداعاته للتكيف وتحقيق أكبر تفاعلات جماعية ممكنة. ثم انتقل إلى المرحلة البربرية الوسطى التي تخصص فيها بصناعة الآلات والأدوات المعدنية وبداية الكتابة الصورية، والتي تحولت فيما بعد في المرحلة البربرية العليا إلى كتابة حرفية تسجل فيها مختلف الصيغ الكلامية الإبداعية لهذا الإنسان.

ومن التوحش والبربرية إلى المرحلة المدنية، أين تم اختراع الحروف والكتابة والفن والصناعة. وتتواجد هذه المرحلة لحد الآن، والممثلة خاصة في أوروبا. وبهذا تكون هذه المرحلة هي آخر مراحل الانسان حسب لويس هنري مورغان[1].

2-1 إدوارد بلانت تايلور Edward Burnett Taylor (1832-1917م)

ذكره علماء النفس والمؤرخين والفلاسفة وعلماء الحياة وكل المهتمين بالسلوك والفكر البدائي، بما عزز أهميته في الحقل الأنثروبولوجي. لقد ركز **تايلور** على الطريقة المقارنة بين بيئات مختلفة بفعل العوامل التطورية. كان شغوفا لدراسة الثقافة في قلب المدن الكبرى، فضلا عن شهرته بالجرأة والتميز مقارنة مع من سبقوه في الحقل الأنثروبولوجي، بحيث ساعده شغفه وميوله العلمي والمعرفي على الخوض في العديد من المسائل غير المتناولة من طرف علماء الأناسة.

تعتبر أعماله ومجهوداته المتميزة والموهوبة، بمثابة ثورة في حقل العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والأنثروبولوجيا بصفة خاصة. حيث مهدت مجهوداته وثراءه المعرفي في التأسيس العلمي لعلم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، كما يرجع الفضل أيضا في هذا التأسيس العلمي للعديد من الرحالة والباحثين.

1- خواجة عبد العزيز بن محمد، **مرجع سابق**، ص 42، 43.

تناول **تايلور** بالتفصيل تطور المعتقدات الدينية، حيث توصل في دراساته وأبحاثه إلى أن الإنسان الأسترالي يؤمن بوجود الجسد والروح، وعند الموت تبقى الروح حية. وبالتالي، فالإنسان لجأ إلى معرفة الروح من خلال بحثه وتساؤله عن الفرق بين حالة الإنسان وهو نائم وبين حالته وهو مستيقظا، وما هو الفرق بين الموت والحياة؟، وما هي الأسباب التي تكمن في الأحلام؟ وما الفرق بين حالتي الإنسان في الحزن أو الفرح؟. فمثل هذه التساؤلات أدت إلى الاعتقاد بوجود روح وجسد للإنسان، وتعدى الأمر إلى الإيمان بالأرواح لدى جميع الكائنات الحية وغير الحية[1].

وينقسم الإيمان بالأرواح في رأي **تايلور** إلى مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة الإيمان بالأرواح الدنيا، والتي تعني باستمرار الروح بعد الموت، فهي ترتبط بطبيعة الأعمال التي قام بها قبل مماته. ومرحلة الإيمان بالأرواح العليا، أين يعتقد الإنسان بأن روحه هي المسؤولة عن أعماله في حياته بعد الموت. وهذا ما يفسر ما مرت به مرحلة التطور الثقافي الروحي، بحيث ميزها **تايلور** حسب المعتقدات الدينية إلى ثلاث فترات مرحلية، تبدأ بالإيمان بالأرواح وقدسيتها، ثم الإيمان بتعدد الآلهة (لكل قبيلة إلى خاص بها،) وبعدها مرحلة الإيمان بإلى واحد قادر على كل شيء[2].

ومن خلال مؤلفه "الثقافة البدائية"، فقد عّرف الثقافة ككل معقد بضم المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وطرائق عيش الإنسان في المجتمع[3].

1- علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم الأقوام-**، مرجع سابق، ص 337..

2- علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم الأقوام-**، مرجع سابق، ص 337..

3 -Gerald Gaillard: Dictionnaire des éthnologues et d’anthropologues, ed Armand, ParisFrance, 1997, p 32.

فالثقافة هي عنصر أساسي في فهم تاريخ الإنسان كظاهرة تاريخية تميّزه عن غيرى ويتعلمها من مجتمعه، فهي انعكاسا لتطوره داخل المجتمع ضمن عاداته وتقاليده. وبهذا يكون **تايلور** من الأوائل الذين أدخلوا مفهوم الثقافة بمعناها الواسع للأنثروبولوجيا، متجاوزا بذلك المعنى الضيق الذي يقصي كل شرائح المجتمع، فالثقافة حسبه هي دائما ثقافة جماعة– مجتمع.

وعلى ضوء هذا التحليل الثقافي، توصل **تايلور** إلى نمو الثقافة التي أخذت في الانتشار من خلال الأدوات المنتشرة في المجتمعات القديمة. بمعنى أن ما نتعلمه من جيراننا على حد تعبيره، أكبر مما تخترعه بأنفسنا وبأيدينا. فالفخار مصدره المكسيك، لكنه انتشر في أمريكا، القوس والسهم والشطرنج مصدرهم الهند ثم انتشروا في أمريكا والمكسيك. لكن ما يلاحظ على هذه التحليلات، أنها متناقضة مع انتماءاته، فرأيه أقرب إلى النزعة الانتشارية. (وهو كغيرى من التطوريين، درس نظام القرابة والكوفادة). حيث بحث فيما يسميه بنظام الزواج الاغترابي المحلي ونظام الزواج من نسب الأم (ابن الخال والخالة).

وبالرغم من تبنيه النزعة التطورية في الانتقال من البسيط إلى المعقد ومن الاتجاه السفلي إلى الاتجاه العلوي، ومن اللامعقول إلى المعقول، إلا أنه يعترف بوجود ستاتيكا نسبية في هذا التطور تمنع حدوث التغيرات المطلوبة، خاصة ما اكتشفه في النظام الأمومي والأبوي. فبالرغم من أن النظام الأمومي أقدم من الأبوي، لكن يوجد بينهما نظام وسيط يختلط فيه النظامين، وهو نظام الكوفادة الذي يعكس بقايا النظام القديم في مضامين النظام الجديد السائد.

ومما يلاحظ على مساهمات **تايلور** في مجالات علم الإنسان، انه لم يذكر آليات تطور النظم الاجتماعية أو كيفيات هذا التحول التاريخي. كما أنه لم يتقيد بالنزعة العلمية الموضوعية في دراسة المعتقدات الدينية.

3-1 جيمس جورج فرايزر James George Frazer (1854-1941)

أخذ لقب سير **SIR** يعتبره البعض خاتمة العلماء الأنثروبولوجيين الكلاسيكيين الذين اشتهروا بكتاباتهم في فلكلور الشعوب والدين المقارن، فقد مثل أحد أهم الحقبات التاريخية التي تطورت فيها الدراسات الأنثروبولوجية. عيّن سنة **1907**م أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة ليفربول(**Liverpool**)، لكنه بعد فصل دراسي واحد عاد إلى كيمبردج التي ارتبط اسمه بها حتى وفاته[1].

اتسم تفكيره بالاتساع والشمول ضمن تكوين علمي موسوعي شمل علوم الطبيعة والأحياء، اللغات الكلاسيكية والقديمة مثل اليونانية واللاتينية، كما درس التاريخ والفن والآداب.

خلف **جيمس فرايزر** إنتاجا علميا ضخما، أين تأسست شهرته في مؤلفه الكلاسيكي الشهير"الغصن الذهني" **1890**م والذي تضمن دراسة في السحر والدين، حيث عرض فيه نظرية التطور لأساليب التفكير التأليفي والفكر السحري بالمقابل مع الفكر العلمي التحليلي[2].

1- محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي المعاصر**، ج1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د.س، ص 280.

2 -Jaques Dumont et Jean- Baptiste Beranian, 1972, p 261.

لقد تركزت نظريته في السحر وفي تطور المجتمعات عبر السحر والدين والعلم، مستدلا بضعف الإنسان وقصوره في السيطرة على الطبيعة في بداية الأمر، وبعدها اعتمد الانسان على الآلهة ليتمكن من السيطرة على الطبيعة، وهنا فقد سّبق العقل الديني على العقل السحري، مما كّلفه ذلك العديد من الانتقادات .فالسحر في رأيه هو علم مسبق يشبه العلم المزيف.

وفي هذا السياق، فإن ابن خلدون قد سبقه في القول بأن السحر هو علم وفن، لما يحتويه من تقدمات وطرائق تتطلب قدرات ومهارات[1].

وبالرغم من الجدل الكبير حول هذه المقارنة بين الدين والسحر وفي تفسير الفروقات من طرف العديد من العلماء، إلا أن أبحاث **جيمس فرايزر** كانت بمثابة موسوعة علمية جعلته من أهم رواد الفكر الأنثروبولوجي، فقد تعددت مجالاته البحثية في مختلف المجالات الإنسانية والمعرفية ذات الصلة الوثيقة بالبحث الميداني، وتبقى قيمته المعرفية في تطوير البحث الميداني متجسدة، بفضل كثرة وتعدد رحلاته وأسفاره إلى مختلف أنحاء العالم[2].

وبفضل هذا الانبعاث العلمي نحو التطور، يكون للتطورية الفضل في تصحيح المفهوم الخاطئ الذي كان سائدا لدى الإثنولوجيين خاصة بين السلالة والحضارة. وتبعا للتحليل التطوري للحضارة، فلا يمكن عزل التطور التكنولوجي عن التطور الاجتماعي، حيث سجل تاريخ المجتمعات تطورا تكنولوجيا ملموسا في الأنظمة المجتمعية، وفي المقابل، سجل أيضا

1- جاك لومبار، **مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، ترجمة حسين قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1997، ص 80، 81.

2- تيلوين مصطفى، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، دار الفارابي – منشورات الاختلاف، ط1 ، بيروت – الجزائر، 2011، ص 84.

قصورا وعوائق في التطور التكنولوجي لأنظمة مجتمعية الأخرى، بما يؤثر ذلك على النمو الحضاري.

لذلك، فإن علاقة التأثير المتبادلة بين تطوير التكنولوجيا وتطور المجتمع هي علاقة ثابتة، ولكنها غير متساوية من حيث درجة التأثير، لأن التطور هو حقيقة تاريخية حضارية تشمل جميع الأمم والشعوب والحضارات[1].

لكن هذه المغالاة لرواد هذا الاتجاه في فهم الحضارات القديمة والحديثة، والبحث في تكويناتها وتطورها، جعل منه عاملا شموليا وإقصائيا للعوامل الأخرى التي تؤكدها الحقائق التاريخية.

1- محمد رياض، **الإنسان-دراسة في النوع والحضارة-**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1974، ص 269.

المحاضرة رقم 11

2- النظرية الانتشارية:

هي رد فعل مناهض للأفكار التطورية، برز لتفسير عمليات التغير الحضاري لتاريخ الإنسان، حيث افترض المناهضون للتطور، أن الاتصال بين الشعوب المختلفة ينتج عنه بالضرورة احتكاكا ثقافيا وعملية انتشار لبعض أو كل السمات الحضارية لمختلف الشعوب في إطار عملية تطورية، وهو ما ركز عليه رائد المدرسة الجغرافية الألمانية **فريدريك راتزال**، حول أهمية الاتصالات والعلاقات الحضارية بين الشعوب ودورها في النمو الحضاري[1].

ومن أهم مبادئ الانتشاريين، أن انتشار أي عنصر يتطلب توافر الاحتكاك والوقت، مما يساهم ذلك في انتشار بعض العادات والتقاليد وغيرها من المظاهر الثقافية. بمعنى انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع لآخر، مع الأخذ في الاعتبار الحواجز المانعة لهذا الانتشار والتي نجملها في الحواجز الطبيعية (العزلة في الصحراء أو الجبال أو البحار)، وحواجز اجتماعية خاصة بالانتشار الثقافي الديني والعقائدي.

كما تتوقف سرعة الانتشار على حجم المجتمع ومساحته ومدى تأثيره بالمجتمع الذي يحتك به، دون إغفال أنواع الأخرى من الانتشار، مثل الانتشار التعمدي أو المقصود (نشر ثقافة المستعمر على المحتل)، والانتشار بالصدفة بفعل التأثر بمجتمع آخر ولا نهمل أيضا أهمية العوامل النفسية في فرض حواجز الانتشار الثقافي، فهي من أهم الحواجز المقاومة لانتشار العناصر الثقافية، لكونها متوقفة على مدى تقبل البيئات الثقافية المعنية بالانتشار

1- حسين فهيم، **مرجع سابق**، ص 158، 159.

واستقبال الثقافة الخارجية. وفي المقابل، فهي ترتبط بالخصوصية الثقافية وأهمية الاستعدادات النفسية والاجتماعية[1].

ومن أهم ما تركز عليه الانتشارية، أن نمو المجتمعات يتم بفعل الاحتكاكات الثقافية بين الشعوب، أكثر من التقليد والمحاكاة، وأن النمو مرتبط بالإبداع والإضافة والتعديل[2].

ومن خلال أسلوب التتبع التاريخي لنشأة النظم الاجتماعية والثقافية، يؤكد الانتشاريون أن لكل نظام اجتماعي وثقافي بدايات وأصول انتشرت منه، وانتقلت إلى مختلف المجتمعات بفعل الاحتكاك والهجرة والتواصل بين الشعوب رغم فقدانها لبعض خصائصها عند امت ا زجها بثقافات الأخرى محلية[3].

وفيما يتعلق بالسمات الثقافية، يعتبرها **فرانز بواس** الملقب بالثقافوي، مجرد ابتكارات وحيدة وحقائق عقلية مستقلة عن التطور الفيزيائي، مما جعلها تبتعد عن النهج التطوري مسافات[4].

وتأسيسا على ذلك، يؤكد الانتشاريون أن لكل شعب تراثه الثقافي المميز له، وأن التطور الثقافي ليس خطيا، وليس بالضرورة أن تكون هناك حتمية لوجود علاقة في التطور بين التكنولوجيا والنظام الثقافي. فكثيرا ما يوجد نظاما ثقافيا متطورا، دون حضور تكنولوجيا متطورة. وهي الأفكار التي قادت الانتشاريين إلى اكتشاف الدوائر الثقافية الأولى المركزية وتتبع انتشارها من المركز. وعليه فالانتشار الحضاري يكون من وإلى المجتمعات. وهنا يبرز

1- حسن شحاتة سعفان، **دراسات في علم الإنسان**، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر، 1973، ص 145.

2- جاك لومار، **مرجع سابق**، ص 145.

3- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية -دراسة ميدانية للجالية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية-**، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، د.س.، ص 43.

4- جان فرانسوا دورتيه، **معجم العلوم الإنسانية**، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، 2009، ص 583.

بوضوح أن السعي إلى إيجاد حلقات وصل بين الحضارات والعلاقات الترابطية والبحث في العوامل التاريخية، هو المنهج المفضل لدى الانتشاريين، والذي يقودهم حسب رأيهم إلى البرهنة على أن كل الحضارات صادرة عن مجتمعات معينة موحدة[1].

لكن هذا التوجه الانتشاري، قد أهمل الفارق الزمني بين الحضارات، بحيث دخلت المدارس الانتشارية في حرب المصطلحات والألفاظ وتوغلت في التنظيم الذي أبعدها كثيرا عن الواقعية.

وعلى الرغم من الوجهة الإيجابية لهجرة الحضارات وانتقالها من مكان لآخر كمسلمة أسست عليها الانتشارية مقولاتها، إلا أنها تنطوي على وجهة سلبية الأخرى، تمثلت في تضييق الفرص لإنماء حضارات الأخرى بديلة مستقلة.

وتتلخص مدارس هذا الاتجاه في ثلاث مدارس: المدرسة البريطانية، والمدرسة الألمانية والنمساوية، والمدرسة الأمريكية.

فالمدرسة الأولى (البريطانية) عرفت بأحادية المنشأ، ومن أبرز ممثليها **إليوت سميث Smith Grafton Elliot (1871–1937م)**، الذي ركز أبحاثه على الآثار القديمة والهياكل البشرية. فحسبه أن أصل الثقافات هو الثقافة المصرية القديمة، وبتوفر الظروف الملائمة وزيادة الاتصالات، انتقلت وتوزعت إلى باقي المجتمعات الأخرى العالمية. وقد وضح أفكاره هذه في مؤلفه "هجرة الحضارات" عام **1915م**.

1- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية -دراسة ميدانية للجالية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية-، مرجع سابق،** ص 43.

كما برز **وليام جيمس بيري William James Perry (1888–1949م)** مساندا لفكرة أحادية المنشأ في كتابه " أطفال الشمس،" والذي شرح فيه أن الحضارة المصرية هي مركز انتشار الحضارات، وفي نفس هذا الاتجاه، نجد الأنثروبولوجي البريطاني **وليام هالس ريفرز William Halse Rivers (1864–1922م)** [1].

وبعد أحادية المنشأ، تظهر المدرسة الألمانية والنمساوية بفكرة تعددية المنشأ، والتي تعتقد في وجود مراكز متعددة لنشأة السمات الثقافية في العالم، بحيث تنشأ من خلالها سمات مشتركة. وحسبه أنه من هذه المراكز قد انطلقت الثقافات وانتشرت عالميا. وكلما اقتربنا من إحدى هذه المراكز، تزداد معها وحدة وكثافة هذه السمات. ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه **فريدريك راتزل Fridirik Ratzel (1844-1904)** صاحب كتاب الجغرافية السياسية، والذي اعتمد فيه على المنهج الجغرافي التاريخي في تحليل فهم الثقافات وتطورها عبر الاتصالات والتبادلات الثقافية. حيث يرى أن الزراعة تعود أصولها للفأس أو المحراث، مما أسهم ذلك في تعدد أشكال الثقافة الزراعية في العالم. كما ترجع إليه فكرة الحدود البيولوجية التي تنتهي فيها عملية الاستعمار أين تنتهي مصالح تلك الدول. وأيضا صاحب فكرة الحدود الشفافة التي توجد فيها دولة داخل حدود دولة الأخرى لخدمة مصالحها دون استعمار مباشر.

ونجد رواد آخرين أمثال **كلارك دفيد ويسلر (1870–1947)** الذي طور مفهوم الدائرة الثقافية إلى المنطقة الثقافية، فالعالم حسبه مشكل من مجموعات ثقافية، تضم كل مجموعة عددا من الثقافات المتشابهة، وداخل كل منطقة مركزا تمثله ثقافة محورية تضم عددا من السمات المشتركة.

1- أسامة النور، أبوبكر شلابي، **الأنثروبولوجيا العامة- فروعها واتجاهاتها العلمية وطرق بحثها-**، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، طربلس- ليبيا، 2002.، ص 63.

وفي نفس الاتجاه نجد **ألفريد لويس كروبر (1876–1960)** صاحب مفهوم الانتشار الثقافي في مؤلفه "انتشار المثيرات." وزميله **كلايد كلاكهون (1905–1960)** صاحب "تصنيفات مفهوم الثقافة" هو وزميله **ألفرد لويس كروبر (1876–1960).**

فجميع رواد هذا الاتجاه قد أدخلوا مفاهيم الدائرة الثقافية لمجال الأنثروبولوجيا وانتشار الثقافات عبر المحيطات. أما المدرسة التي جمعت بين المدرستين، فهي المدرسة الأمريكية والتي أكدت على نشأة الثقافة من مركز جغرافي واحد، ولكنها شكلت مراكز متعددة وموازية لها، وأصبحت تتمتع بالقدرة على إنتاج أشكال ثقافية مختلفة تماما عن أصلها، بمعنى صرحوا بإمكانية ابتكار الثقافات الأخرى لسمات جديدة[1].

ومن أهم روادها **فرانز أوري بواس .Franz Uri Boas (1858–1942م)** الذي تركزت فكرته الأساسية على أن الفهم المتكامل لجوانب الثقافة، يلزمه بالضرورة فهم أعمق لخصائص وسمات الشخصية الفردية من منظور سيكولوجي يرتبط بفهم وتفسير الصيغ الثقافية، فالثقافة هي الأساس في تشكيل شخصية الأفراد، وأن الفرد يخضع كليا للثقافة. الأمر الذي دفع بالعديد من الأنثروبولوجيين إلى نقد هذا التوجه الذي يجعل الفرد عنصرا متأثرا لا مؤثرا، ومن بين هؤلاء الناقدين، **إدوارد سبير Edward Sapir** الذي رأى في هذا الأمر إقصاء للفرد وتعصبا فكريا[2].

كما أكد **فرانز بواس** على مبدأ الحتمية في دراسة الثقافات كأنساق متكونة من أجزاء متداخلة، لكونها تشكل ثقافة كلية. واستطاع بذلك أن يتحقق من أن العملية الانتشارية ليست

1- خواجة عبد العزيز بن محمد، مرجع سايق، ص 53، 54.

2- ميشيل مان، **موسوعة العلوم الاجتماعية**، ترجمة: عادل مختار الهواري، سعيد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1999، ص 35.

نتاج أفعال أوتوماتيكية للاتصال شكلها وفي ها معنا في يغيرون الثقافي، فالأف ا رد عندما يصبحون جزءا من النمط الثقافي.

وسياقا على ذلك، يرفض **بواس** مبدأ اتساق التغير التطوري في كل المجتمعات، فالعناصر الثقافية هي كثيرة ومتشابهة وتوزع في مجتمعات مختلفة، وهذا التشابه هو بفعل الانتشار الثقافي. فحسبه أن معظم السمات الثقافية يمكن أن تتصف بالعالمية رغم عزلتها عن بعضها البعض، وأن لكل ثقافة خصوصيتها وسمات خاصة بها تتعلق بماضيها وحاضرها، فهي متميزة وفريدة في خصائصها[1].

وفي سنة **1923**، أثار كتابه "**عقلية الإنسان البدائي** **The Mind of Primitive Man**" ضجة كبيرة، حيث تم إحراق نسخ الكتاب من طرف النازيين في الثلاثينيات، وإلغاء شهادة الدكتوراه التي نإلبا **بواس** من جامعة كيل بألمانيا. وبعدها ظهر كتابه " **الفن البدائي Primative Art** "في سنة **1927**م، وكتاب "اللغة الثقافية **Language and Culture**" في سنة **1940**م. وهو التاريخ الذي اعتبره أغلب الباحثين بأنه تاريخ ظهور ونشأة الأنثروبولوجيا الثقافية، تماشيا مع إنجازات **بواس** في حقل الأنثروبولوجيا. لأن أفكاره هي بمثابة ثورة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكرد فعل قاس للعنصرية والفروق الفيزيولوجية، فكل الأف ا رد متساوون في كسب وإنتاج المعرفة، والتعاون هو نتيجة لعوامل تاريخية واجتماعية وثقافية[2].

ومن أهم الانتقادات الموجهة لهذه النظرية رغم أهميتها وقيمتها العلمية وشهرتها في الحقول النظرية المعرفية، إلا أنها أنقصت من الكيان الإنساني وجعلته مجرد مستقبل

1- وسام العثمان، **المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، 2002، ص 48، 49.
2- علاء جواد كاظم، **الفرد والمصير-بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية-**، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2011، ص 34.

للمنتوجات الثقافية، دون التركيز على هذا الكائن البشري الذي بإمكانه الوصول إلى أوسع الصور الثقافية، فضلا عن تجاهلها للعوائق المادية والمعنوية التي تقف حاجزا للانتشار.

المحاضرة رقم 12

3- النظرية البنائية الوظيفية

ظهر الاتجاه البنائي الوظيفي لدراسة الثقافات الإنسانية مع ظهور نظرية الانتشار الثقافي في كل من أمريكا وأوروبا كرد فعل عنيف إزاء النزعة التطورية. فهو اتجاه متميز بالأبنية، لا تطوري ولا تاريخي. وفي رأيهم أن العلم لا يهتم بتاريخ الظاهرة المبحوثة، وإّنما يسعى إلى الكشف عن العلاقات بين الظواهر لتحقيق وظائفها. لذاك فالاتجاه الوظيفي يبحث عن كيفية حدوث التغير وأسبابه. وبالتالي فقد تحول التركيز من التطور والانتشار إلى الدور أو الوظيفة التي تؤديها العناصر الثقافية في علاقتها ببعضها البعض، مع الحفاظ على بقاء واستمرار مكوناتها.

ومن أهم رواده **مالينوفسكي، راد كليف براون،** وآخرون ممن درسوا البناء والوظيفة داخل نسق متكامل يعمل على تحقيق التوازن الاجتماعي.

إن الوظيفة كتيار أنثروبولوجي، ترتبط بدرجة كبيرة باسم مالينوفسكي، الذي يوضح بأن الثقافة هي بمثابة نسق متكامل ومتضامن العناصر، فهو يهتم بالوظائف والأدوار التي تقوم بها العناصر المكونة للنسق. لأجل ذلك فقد ركّز اهتماماته البحثية في دور المؤسسات الاجتماعية وكيف تؤدي وظائفها من أجل ضمان بقاءها واستمرارها[1].

وتعتبر الاتجاهات الوظيفية تعبيرا عن استخدام المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية، من خلال الأدوار المختلفة التي تؤديها العناصر المكونة للنسق

1Charles-Henri Favrod: L'Anthropologie, Encyclopedie du monde actuel (E.D.M.A), coll, lior de poche, Paris-France, 1977 , p106.

الاجتماعي، وأن الغاية من وراء هذه الأدوار هو العمل على إشباع الحاجات المتنوعة والمتزايدة للنسق في ظل التحولات والمتطلبات المتزايدة.

فالنظرية الوظيفية ترتكز على مصطلح الحاجة لتحقيق الاستقرار والتوازن والابتعاد عن كل أشكال الصراع الذي تعتبره هذه النظرية حالات مرضية. لذلك فإن غاية الوظيفيين من وراء إشباع حاجات النسق هي تحقيق المنفعة. فهم يركزون على كل أنماط السلوك الإنساني من خلال فهم السمات والعناصر الثقافية ودورها في إشباع الحاجات الأساسية. وبتعبير أدق، فإن الوظيفة تبحث عن الارتباط المتداخل بين الظواهر الثقافية.

وتشير الوظيفية كنظرية في الأنثروبولوجيا، إلى قياس التمثيل العضوي تماشيا مع فكرة أن الأنساق الاجتماعية ماهي إلا نوعا من الكائن الحي، تسهم بالضرورة في المحافظة عليه لضمان بقاءه واستمراره في إطار مجموعة حاجات ووظائف أو أدوار. وهذا ما يقودنا للحديث عن الحاجات الاجتماعية عند **راد كليف براون**، والمرتبطة بإشباع الشروط البيولوجية، حتى يتجنب النسق المعاناة من عدم التكامل أو الإصابة بالخلل أو إحداث التغيير[1].

ويشكل الجسم جملة من الأعضاء التي لا يمكن فهمها إلا من خلال نشاطها الوظيفي ودورها في الجسم الكل المركب، وهذا يعني الالتزام بالتشريح الاجتماعي في فهم مكونات الحضارة ورصد العلاقات الثقافية وهذا ما يعرف بالأنثروبولوجيا الميدانية، أي دراسة التركيب وبحث النشاط الوظيفي للعناصر المركبة. وهي أفضل طريقة عند الوظيفيين لفهم الإنسان والحضارة دون التعمق في التطور أو الانتشار، بل التركيز يكون موجها نحو دراسة البنية

1- محمد الخطيب، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، ط 2، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق-سوريا، 2008، ص 52، 53.

في واقعها مثلما يدرس جسم الإنسان. إذ لا يمكن فهم وظيفة أي عضو إلا في ضوء علاقته بكل أعضاء الجسم، لأن النظام الاجتماعي والثقافي ما هو إلا عبارة عن بنية من العناصر ونسق من العلاقات الوظيفية. والميدان هو السبيل الوحيد لمعرفة تلك البنيات الوظيفية[1].

ومهما يكن من توفيق هذه النظرية في وضع الأنثروبولوجيا على متن البحث عن التنظير والمنهج العلمي، إلا أنها تعرضت كتوجه إنجليزي للعديد من الانتقادات الأوروبية، بسبب تهميشها للجانب التاريخي والتطوري من الحضارة وحتى الجانب النفسي، وحصرت فقط النشاط الإنساني والحضارة مجمل التفاعلات والتركيبات داخل الجماعات الصغيرة المتيسرة للبحث الميداني، مما يصعب التوصل إلى قوانين تفسيرية عامة الأمر، الذي انتبه إليه الوظيفيون لإعادة النظر في مفهوم الوظيفية والانفتاح أكثر والاهتمام بالمدخل التاريخي كما هو الحال عند **إيفانز برتشارد**[2].

1-3 مالينوفسكيMalinowski Branislow (1884-1942م)

أنثروبولوجي إنجليزي من أصل بولوني، إسهاماته معارضة للفكر التطوري والانتشاري، فهو يتخذ موقفا مناهضا للتاريخ، الذي اعتبره افتراضيا أو تخمينيا لدى الاتجاه التطوري والانتشاري واللذان يفتقران للتأسيس العلمي والمصداقية.

اعتمد كثيرا على الملاحظة بالمشاركة، من خلال اندماجه الكلي مع المجتمعات موضوع الدراسة والبحث، حيث تقاسم الحياة اليومية ملاحظا كل السلوكات والأفعال بنظرة

1- جان فرونسوا دورتيه، **مرجع سابق**، ص 583.

2- إيفانز بريتشارد، **الأناسة المجتمعية -ديانة البدائيين في نظريات الأناسين-**، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1986، ص 279.

دقيقة فاحصة لكل الممارسات الفعلية ومراقبا لكل التفاصيل الدقيقة. لهذا فقد كان مبدعا في تطبيق منهجية صارمة لفهم أدق القضايا

إن تقنيته المنهجية للملاحظة بالمشاركة، قد ساعدته في الاحتلال الداخلي للمؤسسات الاجتماعية بكل أدق تفاصيلها، بعيدا عن الافتراض أو التخمين. حيث توصل إلى أن لكل المؤسسات علاقة وظيفية اجتماعية تنطوي عل حاجات بيولوجية[1].

لقد مّكنته الملاحظة بالمشاركة من تعلم لغة السكان وأنماط معيشتهم، مما ساعده ذلك على التعمق في فهم ثقافتهم وتحليل مكوناتها والربط بينها. فكان يقضي معظم أوقاته في التأليف وكتابة المقالات عن تجاربه الميدانية وما توصل إليه من نتائج بالوصف والتحليل لمختلف الأحوال الاقتصادية وأشكال العلاقات الاجتماعية من نظم زواج وعلاقات قرابة

ويؤكد **مالينوفسكي**، أنه لا يمكن الوصول إلى تحقيق فهم عميق ودراسة دقيقة وشاملة لثقافة المجتمعات، ما لم يتم الاحتكاك والاتصال والمعاشرة اليومية للسكان موضوع البحث. كما يحرص على ضرورة الاندماج الكلي في حياتهم، لملاحظة كل النشاطات اليومية ومتابعة كل التفاصيل الدقيقة لسلوكاتهم وتصرفاتهم. لذلك فهو يوصي بضرورة تعلم لغة مجتمع الدراسة، نظرا للعلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة. فالباحث لا يقف موقف المشاهد عن بعد، وإنما يلجأ إلى المشاركة الفعلية لكل العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والمناسبات المتعددة، والتي تشكل جوهرا أساسيا في فهم مكونات العناصر الثقافية وكيفية تأدية أدوارها

1- جان فرونسوا دورتيه، **مرجع سابق**، ص 955، 956.

أو وظائفها، خاصة تلك المتعلقة بالمعاني الرمزية المتضمنة سلوكات مميزة ومحددة بكل مجال، وهذا لا يتم إلا من خلال الملاحظة بالمشاركة[1].

فهذا الحقل الميداني المخصص للفهم الدقيق لثقافة الشعوب، هدفه هو فهم نظم ومؤسسات المجتمع المراد دراستها من طرف عالم الأنثروبولوجيا.

ويصل **مالينوفسكي** إلى تحديد معنى الثقافة في كل ما يحتويه المجتمع من عقائد ومبادئ وأدوات تشكل الجهاز الكلي للإنسان، الذي يجد نفسه مجبرا على التكيف معه وتحقيق حاجاته الضرورية للمحافظة على بقاءه واستمراره. فالحاجات الضرورية مثل، الأكل والشرب....إلخ، هي العناصر الثقافية الأساسية لكل مجتمع، والتي تختلف حسب الظروف الوظيفية. ويتمثل الدور الوظيفي لهذه الحاجات في ضمان استمرار المجتمع، وذلك بفضل الأدوار الوظيفية للعناصر الثقافية داخل النسق الاجتماعي لأجل ذلك، ترتبط الثقافة بكل جوانبها المادية والروحية بالاحتياجات الإنسانية[2].

وتأسيسا على ذلك، يعتقد مالينوفسكي أن الحاجات الفردية تقابلها استجابات حضارية كمؤسسات ذات وجود واقعي في المجتمع. فمثلا نجد التكاثر كحاجة فردية، يقابلها نظام الحماية كاستجابة حضارية، الحاجة إلى الأمان يقابلها نظام الحماية كاستجابة حضارية...،. وهكذا. كما أن المستلزمات التكنولوجية المنتجة مثل الأدوات والسلع، تقابلها هي الأخرى استجابات حضارية تتمثل في تشييد الحضارة للنظام الاقتصادي[3].

2-3 راد كليف براون Rad Cliff Brown (1881-1955م):

1- عدنان أحمد مسلم، **الأنثروبولوجيا**، منشورات جامعة دمشق-سوريا، 1992-1993، ص 92، 93.
2- علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم الأقوام**، **مرجع سابق**، ص 349، 350.
3- محمد رياض، **مرجع سابق**، ص 275.

تحصل بفضل شهرته الواسعة على عدد كبير من التكريمات الأكاديمية والمهنية، منها رئاسة المؤسسة الملكية للأنثروبولوجيا وجمعية الأنثروبولوجيين الاجتماعيين البريطانيين. ومنذ وفاة **مالينوفسكي** سنة **1942**م، أصبح **راد كليف براون** عميدا للأنثروبولوجيا البريطانية[1].

ساعدت إسهاماته العلمية في بلورة وتدعيم الفكر البنائي وفي توجيه الإثنولوجيا نحو الدراسات المتزامنة. وكغيرى من البنائيين الوظيفيين، فقد ابتعد عن التاريخ التخميني والتيارات التطورية، لذلك كان توجهه الرئيسي منصبا حول دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرا اجتماعيا بنائيا وظيفيا. وما ساعده في توسيع أفكاره، كتابات **إميل دور كايم** حول تطبيق الوظيفة على المجتمعات الإنسانية وأهمية المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية.

وعلى أساس هذه الأفكار، **بنى راد كليف براون** تصوراته لكيفية تطبيق هذه المماثلة، حيث اعتقد بأن المجتمع يشمل تركيبا أو بنا ء اجتماعيا يتكون من أفراد متماسكين بعلاقات اجتماعية مقررة، مقابلة مع الإنسان ذو التركيب المتكامل. فالحياة الاجتماعية للمجتمع هي المكون الرئيسي للبناء الاجتماعي[2].

شّبه **راد كليف براون** الثقافة بالكائن الحي، فهي تتكون من ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والنظم والمعتقدات والخصائص والسمات، ولكل منها وظيفة يمارسها

1- بيار بونت وميشال إيزار، **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2006، ص 497.
2- حسين فهيم، **مرجع سابق**، ص 167، 168.

ويؤديها داخل الكل الثقافي. فالنظرة الوظيفية للثقافة هي بمثابة دراسة تشريحية لثقافة قائمة على الموازنة والمقارنة بين مختلف الوظائف داخل النظم الثقافية[1].

لقد اهتم **راد كليف براون** بمكانة ودور الثقافة والعناصر الثقافية داخل البناء الاجتماعي وتأثير ذلك على الاستقرار والتوازن الاجتماعي. فاستمرار البّناء مرتبط بالأدوار والوظائف، وتقابله الثقافة كمسؤولة بصفة شاملة وبكلية متكاملة عن بقاء المجتمع

وعليه، تنحصر أفكار **راد كليف براون** بين طرحين علميين أساسيين، أحدهما التنظير الدوركايمي، والآخر إسهامات مالينوفسكي، مستخلصا مقوماته المنهجية المرتكزة على البناء الواقعي أو الفعلي. وقد أسس ذلك من خلال دراساته الميدانية المعتمدة على الملاحظة العلمية الدقيقة والمشاهدة المباشرة لتفاصيل العلاقات الجزئية الواقعية.

إن منهجه قائم على استخدام الطرق الاستقرائية بتطبيق المنهج التجريبي واكتشاف القوانين العامة التي تخضع لها الظواهر المدروسة. لذلك، فإن من أهم قواعد المنهج الأنثروبولوجي العلمي عنده، هو ملاحظة الوقائع ومشاهدتها بنا ء على فرضيات نظرية تفسرها. وارتكازا على هذا الفهم والتفسير، يتم استخدام المنهج المقارن في البحث العلمي بصفة عامة، والدراسات الأنثروبولوجية بصفة خاصة[2].

وهنا يميز **راد كليف براون** ويحدد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في كونها تختص بدراسة طبيعة المجتمع الإنساني، عن طريق المقارنة المنهجية لمختلف أشكال المجتمعات البشرية والاهتمام بالجوانب البسيطة للمجتمعات البدائية.

1- حسن شحاتة سعفان، **مرجع سابق**، ص 126.

2- جمال معتوق، **مرجع سابق**، ص 349، 350.

وكغيرى من البنائيين الوظيفيين، فهو يؤكد على التعايش المباشر للجماعات البشرية موضوع الدراسة الإثنوغرافية، مع حتمية تعلم لغة الجماعة المبحوثة، لتحصيل دقيق للمعلومات المجّمعة، وذلك من خلال الاندماج والتكيف مع ذلك الكل المركب للعناصر الثقافية السائدة في أنماط معيشتهم.

وتأسيسا على ذلك، فإن **راد كليف براون** حاول إبراز أهمية الوظيفة كمنهج في فهم العناصر المركبة للكل المركب، اعتبارا أن الوظيفة هي نتيجة للنشاط وتتضمن بالضرورة التركيب الاجتماعي من أجل المحافظة على بقاءه واستمراره، ومن ثم المحافظة على التركيب الحضاري وبفكرة الوحدة الوظيفية.

❖مقومات التحليل الوظيفي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية عند راد كليف براون

- **البناء الاجتماعي :**

يتشكل البناء الاجتماعي من جملة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الثقافية المحددة بالمكانة والدور، مثل البناء القرابي والذي حدده **راد كليف براون** في شكل العلاقات الثنائية التي تنشأ بفعل الروابط القرابية، لذلك فهو يتجسد أكثر في العلاقات الاجتماعية الفعلية. وهذا ما أدى براد **كليف براون** إلى التمييز بين البناء الواقعي والصورة البنائية. فالبناء الواقعي هو كل ما يخضع للملاحظة المباشرة، ويتميز بالديناميكا والتغير والتجدد مثله مثل الكائنات الحية. بمعنى أنه من خلال العلاقات الاجتماعية، يدخل في المجتمع أعضاء جدد بالميلاد أو الهجرة، ويخرج آخرون بالموت أو الهجرة. ويضيف **راد كليف براون** في هذه العلاقات الاجتماعية، حالات الطلاق والزواج.

وسياقا على ذلك، يمثل البناء الواقعي حلقة اجتماعية ضرورية في الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، نظرا لمرونته وقابليته للتغير والتجدد[1].

(جمال معتوق، 2016، ص 211،212)

كما يستعمل البناء الاجتماعي للدلالة على عناصر التنظيم الاجتماعي ومجمل العلاقات التي يحتويها بكل تناسقها الداخلي وتناقضاتها.

وعليه، فإن فهمنا للبناء الاجتماعي، لا يتحقق إلا بملاحظة العلاقات الاجتماعية التفاعلية التبادلية. وهنا يوضح **راد كليف براون** أن الدراسات والأبحاث لا يمكنها دراسة البناء الاجتماعي إلاّ من خلال الأشخاص. فهو يميز بين الأشخاص والأفراد، في كون أن الشخص يحتل مراكزا اجتماعيا يجعل منه قاعدة البناء الاجتماعي، وبالتالي فهو يستمر باستمرار التنظيم الذي ينظم أدوار الأشخاص ويحدد علاقاتهم ببعضهم البعض، أما الفرد في رأيه فهو كائن عضوي بيولوجي يكون موضوعا للدراسة فقط.

فالبناء الاجتماعي حسب **راد كليف براون** يستمر بالرغم من وحداته، فهو يماثل تماما استمرار البناء العضوي، لأن الأفراد يتغيرون، لكن يستمر البناء التنظيمي بالرغم من تغير أفراده[2]. **(جمال معتوق، 2016، ص 211،212)**

وعلى هذا الأساس، يعد مفهوم البناء الاجتماعي من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية الحديثة عامة والدراسات الأنثروبولوجية خاصة. حيث يعبر عن مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة، والتي تتكامل من خلال الأدوار الاجتماعية[1].

1- جمال معتوق، **مرجع سابق**، ص 211، 212.
2- جمال معتوق، **مرجع سابق**، ص 211، 212.

واستنادا إلى ما سبق، فقد ركّز **راد كليف براون** بصفة خاصة والوظيفيون بصفة عامة على دراسة المجتمع واعتباره مجموعة أنساق اجتماعية تؤلف البناء الاجتماعي.

- **الوظيفية:**

نظرنا إلى المماثلة التي أقامها **راد كليف براون** بين الوظيفية الاجتماعية للبناء الاجتماعي، وبين الوظيفة الفسيولوجية في البناء العضوي، نجد أن التصور الوظيفي للبناء الاجتماعي مستمدا من التيار العضوي في علم الاجتماع، والذي تأثر به **راد كليف براون** من خلال قراءاته النظرية المتعددة لأفكار **هربرت سبنسر وإميل دوركايم** .فالدور يتحدد في ظل المعنى الذي يعطيه الفاعلون الاجتماعيون داخل الأنساق الاجتماعية. وبالتالي يصبح النسق الاجتماعي متكاملا إذا تحقق التوازن في المكانة والدور والأهداف الشخصية المرغوبة وأهداف النسق. وبما أن النسق يتميز بجملة من القيم والمعايير، فهو يضمن من خلالها المحافظة على أنماط التفاعل ومنعها من الانحراف عن حدود النسق. لذلك، فإن وظيفة التكامل ترتبط بوظيفة المحافظة ضمن المعايير ومدى امتثال أفراد النسق لهذه المعايير، علما بأن كل نسق اجتماعي يتكيف مع المحيط الخارجي[2].

1- أحمد أبو زيد، **البناء الاجتماعي-مدخل لدراسة المجتمع-**، ج6،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، 1965، ص 25.

2- فوزية زنقوفي، **مطبوعة بيداغوجية في مقياس علم اجتماع المؤسسات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس علم الاجتماع (ل م د)** ، جامعة 08 ماي1945، قالمة-الجزائر، 2020-2021، ص 77.

المحاضرة رقم 13

4- النظرية النفسية:

أساسها عقدة أوديب التي ابتدعها فرويد كنموذج نظري تاريخي، وكصفة موروثة في الظواهر الإثنولوجية وتطور العلاقات البشرية داخل المجتمعات البدائية. فحياة الطفل المولود وتطورها اجتماعيا، كما حللها فرويد، هي حياة لا تختلف عن الحياة التي عاشتها المجتمعات الأولى من الأستراليين. ومن خلال هذه المماثلة، يمكن إسقاط ذلك على حياة الإثنيات البدائية بوصفها طفولة بشرية، وأن كل خصائص الحب والكره والمحرمات....إلخ، هي مفاهيم تجريدية لحياة ذات أصل غرائزي جنسي. وهي نفسها المفاهيم المفتاحية التي وظفها فرويد في تحليل السلوك الفردي، وقد أوضح من خلالها تأثير العلاقات الاجتماعية والثقافية، وفسر أيضا الشعور الداخلي للنفس الإنسانية بالتعايش مع أنماط الحياة.

وقد توزعت الرؤى النفسية في دراسة الثقافات الإنسانية في ثلاثة توجهات نظرية مميزة، فكانت كل من مارغريت ميد وروث بندكت أنصار التوجه الأول في هذا التحليل القائم على فكرة التضاريس الحضارية، بمعنى أن التنظيمات الاجتماعية متواجدة على شكل قوالب وأنماط ثقافية تعمل على تنميط الأفراد وتذويب شخصياتهم في المجموعة الإثنية. أما التوجه الثاني، فهو تابع لأنصار فرويد وتحليله النفسي، والذي ركّز من خلاله على إبراز دور الفرد في المجموعات الإثنية والحضارية ضمن مفاهيم ومكونات الشخصية. وبالنسبة للتوجه الثالث، مختلف فقد خصص لدراسة الأفراد كحالات نفسية، ومن ثم تطّبق الروائز النفسية والاختبارات والقياسات النفسية[1].

1- العربي بلقاسم فرحاتي، **تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان-قراءة في علوم الإنسان الحديث ومقدمات البديل- مقاربات علم الإنسان المتخصص في فهم الإنسان ومعالم تأسيس البديل، قراءة في علم الأنثروبولوجيات الحديث**، ج 3، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 124.

وبالرجوع إلى روث بندكت التي تعتبر من الأوائل الذين بلوروا على أساس دراساتهم للأنثروبولوجيا الامبريقية المتباينة، الفكرة العامة التي مؤداها أن الثقافة هي بمثابة نسق متكامل من السمات السلوكية، أو هي عبارة عن سلوك مشترك يحوي أفكارا موحدة ومستويات وقوانين لا شعورية للاختيار.

وتنتمي روث بندكت إلى مدرسة الثقافة والشخصية، والتي يمثلها كل من مارجريت ميد، رالف **لينتون** وأتباعهم، وهي من أبرز المدارس وأشهرها في هذا الميدان. بحيث كانت اهتماماتهم الأساسية كعلماء للأنثروبولوجيا تنحصر بالدرجة الأولى في دراسة الثقافات البدائية، مستخدمين المنهج المقارن والجمع بين الأساليب الأنثروبولوجية والسيكولوجية في البحث، وذلك بتطبيق الملاحظة بالمشاركة والمقابلات الشخصية والاختبارات النفسية[1].

ويدل عنوان كتاب مارجريت ميد حول التنشئة في غينيا الجديدة، على أهمية مجال الاتصال بين الثقافة والتنظيم العقلي للفرد وفقا للأساس التطوري والمقارن.

فطبيعة الفرد ومزاجه هما نتاج الشخصية، حيث تعمل الأنثروبولوجيا النفسية على فهم الكيفيات التي هو تجعل مثلا شخصية فرد ما مسالمة والأخرى عنيفة عدوانية. والقصد من هذا الطرح حسب رواد هذا الاتجاه، توصلت حيث التمييز بين المضمون الثقافي والمضمون السيكولوجي .بندكت إلى نتيجة مفادها أن الثقافة والشخصية هما جانبين إثنين لنفس الحقيقة الواحدة. وهكذا يتمثل إسهامها الأساسي في البرهنة أّنه من خلال التمثلات الثقافية، ينتج كل مجتمع نموذجا متميزا من الشخصية. بمعنى، أن رواد هذا الاتجاه يركزون على نموذج التنظيم العقلي المتوافق والمكيف مع المتطلبات الوظيفية والبنائية[2].

1- علي عبد الرزاق حلبي، **دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، 1999، ص 250.

2- علي عبد الرزاق حلبي، **مرجع سابق**، ص 251، 252.

وكما سبق في التحليل الفرويدي، فإن إسقاطاته غير مبررة علميا لما لاحظه في مجتمعات الحضارة الغربية، إضافة إلى أن الاختبارات النفسية المعتمدة في التحليلات النفسية للمجموعات الحضارية البدائية أو الشبه بدائية، كانت مشبعة بالثقافة والنمط المعيشي، مما يقّلل من موضوعيتها وحيادها كأداة للقياس. فمنهج **رورشاخ** مثلا وأدواته التي طبقت على الجماعات البدائية، لا يمكن فصلها عن الثقافة والحضارة الغربية المعاصرة[1].

إن الحاجة التي استشعرتها الأنثروبولوجيا إلى علم النفس، قد أدت إلى لفت انتباه الأنثروبولوجيا للاستعانة بعلم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية بصفة خاصة. وينحصر ذلك في اتجاه قديم يرتبط بالإثنولوجيا ارتباطا قويا في كتابات عدد كبير من علماء القرن **20**م، ممن كانوا يطبقون الاستبطان في محاولاتهم معرفة أصل الثقافة البدائية ونشأتها، وبخاصة الدين والشعوذة والسحر والأساطير.

وقد ظهر هذا الاتجاه إلى حد ما في كتابات مالينوفسكي الذي كان يرى بأن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بتوتر وشدة الانفعالات مثل حالة الوفاة. لذلك فقد استخلص عددا كبيرا من الأنثروبولوجيين الثقافيين المحدثين، أن أية نظرية متماسكة ومتكاملة عن الثقافة، بالضرورة تبحث في علاقة الثقافة بطبيعة الإنسان البيولوجية النفسية.

ومن هذا الطرح، يذهب **روبير لوي R. Lowie** الذي يعارض فكرة الفصل بين الناحيتين التاريخية والسيكولوجية في دراسة الثقافة، إلى القول في مسألة الدين، بأنه لا يمكن اعتبار الظواهر الدينية ظواهر سيكولوجية خاصة أو ثقافية بحتة، وأن فهمها بوضوح يتطلب الاستعانة بعلم النفس والتأويلات التاريخية على السواء.

1- محمد رياض، **مرجع سابق**، ص 274.

ولقد ظهر في أمريكا اتجاه يقوم على الاعتقاد بأن حقائق الثقافة هي حقائق سيكولوجية تاريخية أو سيكو–ثقافية، ويظهر ذلك بوضوح في أعمال كل من **بيدني Bidney** و **جولدنفايزر Goldenweise**.

وبازدياد الاهتمام بين علماء الانثروبولوجيا للنواحي السيكولوجية في الثقافة، ظهر اتجاه لدراسة الشخصية في علاقتها بالثقافة، عن طريق تحليل العلاقة بين الثقافة والفرد أو دراسة أثر الثقافة في تكوين الشخصية[1].

وعلى الرغم من حداثة هذا الاتجاه الجديد، إلا أنه فرض نفسه بقوة في ميدان الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية. ووجد له أنصارا مميزين في أمريكا. حيث يصرح كل من **أوغبرن Ogburn** و **نيمكوف Numkoff** أن الأنثروبولوجيا ظلت لسنوات طويلة تهتم بالتنظيم الصوري للثقافات المختلفة دون الاهتمام بالطريقة التي تؤثر بها الثقافة في الشخصية. وظل بذلك علماء النفس يركزون جهودهم على دراسة السلوك في معامل مخصصة لهذا الغرض، دون البحث في التأثيرات البيئية ذات الأهمية البالغة في ذلك. ولكن سرعان ما اكتشف الأنثروبولوجيون الشخصية، كما اكتشف علماء النفس الثقافة، حينئذ تعاون كل من علم النفس والأنثروبولوجيا باهتمام كبير في دراسة مشكلة العلاقات المتبادلة بين العوامل الثقافية والعوامل السيكولوجية[2].

1- بن معمر عبد الله، **ميادين الأنثروبولوجيا**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان-الجزائر-، 2020، ص 62.

2- أحمد أبو زيد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1978، ص 86.

المحاضرة رقم 14

5- نظرية التبادل الاجتماعي

كتب جيمس فريزر عن عادات الزواج والنظام القرابي في المجتمعات البدائية، حيث أوضح في إحدى دراساته ظاهرة نظام الزواج بين أبناء العم، وقد استخدم التفسير الاقتصادي القائم على المنفعة في توضيح هذا النوع من الزواج. فعند الزواج لا يتطلب من الفرد أن يكون مالكا لثروة مالية أو مادية، بل يشترط أن يكون لديه أخوات أو بنات لكي يستطيع أن يتزوج بواسطتهن، حيث لا يستطيع أن يحصل على زوجة ما لم يقدم امرأة من أخواته أو بديلا لها إلى عائلتها.

فالمبادلة النسوية تحل محل الملكية الفردية في نظام الزواج الذي يتطلب تبادل إمرأة بإمرأة. واستنتج جيمس فريزر أن المرأة تتمتع بقيمة اقتصادية وتجارية عالية، وأن الرجل الذي لديه عدة أخوات أو بنات يكون ثريا، لرجل والعكس فقدانه لهن يجعله فقيرا ولا تتاح له فرصة الزواج. ولذلك فالفرصة تكون متاحة أكثر للشيخ الرجل المسن، لكونه لديه فرص عملية تبادل النساء، فهو ثري ولكن ليس بالمقياس المادي. وفي المقابل، يكون الشاب أقل حظا في الزواج، فهو يبقى أعزب لفترة طويلة من الزمن، وفي هذه الحالة يقوم رئيس القبيلة بمساعدته في تقديم إحدى بناته أو أخوات له كزوجة من باب المساعدة.

وما يستخلص من هذه المبادلة النسوية، هي نتيجة لانعدام عامل الملكية لدى الأفراد، لذلك تكون المرأة كتعويض عن الملكية وإشباع حاجة اجتماعية لتكوين خلية اجتماعية داخل المجتمع. وبذلك أصبحت هذه المبادلة نظاما اجتماعيا وأحد مكونات البناء الاجتماعي في

المجتمع، خاصة وأن تبادل النساء من أجل الزواج بين الأقارب يؤدي إلى المحافظة على نفوذ وقوة العائلة أو القبيلة[1].

من المبادلة النسوية إلى التبادل الرمزي القائم على تبادل العلاقات ا ، من خلال تبادل سلع ما بسيطة فيما بينهم، مثلا مجموعة تقدم سلعة بسيطة معينة ومجموعة ثانية تبادلها سلعة الأخرى بسيطة، وهذا ما يساعد على بناء علاقات اجتماعية متينة بين أعضاء الجماعات. فالتبادل السلعي البسيط هو من أجل إقامة علاقات اجتماعية وطيدة، مع خلو هذا التبادل من المنفعة الاقتصادية أو المادية، فالهدف البعيد من وراء هذا التبادل هو دوام واستمرارية العلاقات الاجتماعية.

وقد اختص في دراسة التبادل مالينوفسكي، والذي استهدف من وراء دراساته عن التبادل الرمزي، التمييز بين السلع الاقتصادية والرموز الاجتماعية، لأن عملية التبادل هذه تقوم على العامل الاجتماعي والنفسي وليس الاقتصادي، لكن ليس معنى ذلك التقليل من أهمية وقيمة السلع المادية، فهدف التبادل الرمزي هو تحقيق التماسك والتكامل الاجتماعي داخل المجتمع. ومن ثم، فإن مالينوفسكي استهدف بدراساته، تحرير نظرية التبادل الاجتماعي من تأثيرات المنفعة الاقتصادية، وإظهار عامل التضامن والتكامل الاجتماعي.

وقد واصل في هذا المجال **مارسيل موس** بالبحث عن المبادئ الأولية والقاعدة الأساسية لاستلام إلبدية وإعادتها مرة ثانية. بمعنى ما هي الأسس التي تقوم عليها عملية تبادل إلبدايا في المجتمع البدائي؟ وما هي القوى التي تلزم الفرد على تقديم هدية مقابل الأخرى؟.

1-Abraham franis: **Modern Sociological theory**, Oxford University Press-Delhi, p 160,161.

وفي ضوء تساؤلاته هذه، توصل **موس** إلى أن الآداب الاجتماعية تمثل قوة إلزامية في المجتمع، وتمارس على الأفراد لإعطاء أو إعادة هدية مماثلة، لا سيما وأن هذه الآداب العامة غير عقدية أو مكتوبة، بل متعارف عليها فقط بين أفراد المجتمع، وممارستها والالتزام بها، يعني المحافظة على بناء المجتمع.

وفي نفس هذا السياق التبادلي، حّلل ليفي ستروس نظام الزواج من الأقارب وبين أبناء العم. حيث أن الرجل يبادل أخته او ابنته لكي يتزوج، فهذه الطريقة هي أرخص الطرق للحصول على زوجة، لا سيما في غياب العوامل المادية أو الوثائق المكتوبة، لأنه كما سبق، فإن عامل المنفعة الاقتصادية غير موجود في هذه العمليات التبادلية. وعلى اعتبار أن ليفي ستروس يرفض تشبيه السلوك الإنساني بالحيواني، فهو يؤكد بخضوع هذه العملية لقيم وأعراف المجتمع وإرثه الحضاري، وهذا غير متوفر في المجتمع الحيواني. فضلا عن أن السلوك الإنساني لا يشبه الحيواني، من حيث أن الإنسان قادرا على تعلم تسيير النظم والمؤسسات وكيفية التصرف في التبادل الإنساني. وهذا يعزز حصيلة مؤثرات العوامل الاجتماعية الصادرة عن مكونات التبادل الاجتماعي من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.

ويؤكد **ليفي ستروس** على عامل الكلفة الاجتماعية دون الكلفة الاقتصادية، فالأولى تعني الالتزام بالآداب الاجتماعية العامة والقيم والأعراف وليس مجرد حصيلة إشباع الحاجات النفسية ونظام الزواج والنظام القرابي في نظره، يخضعان لهذه المؤثرات الاجتماعية وليس لعوامل اقتصادية أو نفسية، فضلا عن أن دوافع الفرد لا تؤثر بقدر ما تؤثر مكونات

البناء الاجتماعي على عملية التبادل الاجتماعي بين الأفراد، والتي يتم خلالها التفاعل الاجتماعي المؤدي بالضرورة الى تحقيق التضامن والتكامل الاجتماعي[1].

وبالرجوع إلى أصل وبدايات السلوك التبادلي، فهي ترجع إلى بيتر بلاو، الذي يعتبر أن دافع سلوك الفرد الرئيسي في تفاعله وعلاقاته هو التبادل المعنوي أو المادي، والذي يمر حسبه عبر أربعة م ا رحل متسلسلة، وتتمثل هذه المراحل في التعامل اليومي بين الأفراد في الحياة الاجتماعية، مما يزيد من بروز اختلاف مكانات الأفراد ونفوذها، والذي يكشف عن تسلسلها المنتظم ومشروعيتها التي تقوم بزرع بذور الاختلاف والتغير الاجتماعي[2].

ومن خلال هذه المراحل يتحدد سلوك التبادل كما وضعه **بلاو** كالآتي:

- يدخل الفرد في نشاط اجتماعي معين، متوقعا الحصول على مكافأة منه.
- -كلما زادت قيمة المكافأة، زاد النشاط المقابل لها بدرجة أكبر مما سبق.
- -كلما قّلت قيمة المكافأة، نقص ميل الفرد لممارسة نشاط اجتماعي جديد.
- إذا حصل الفرد على منفعة في تفاعله مع الآخر، أوجبه ذلك إرجاع هذه الفائدة للآخر كدين في ذمته، لأنه التزام أدبي أخلاقي.
- يوطد الالتزام المتبادل بين فردين علاقتهما المشتركة برباط موحد.
- -إذا حصل انحرافا تبادليا بين فردين، فإن ذلك يولد موقفا سلبيا من قبل الطرف الذي لم ترد إليه مكافأته، وهذا يعد اختراقا لمعايير التبادل[3].

1-Turner, Janathan: **The structure of sociological theory**, the dorcy press, homeword., p 299,300.
2- معن خليل عمر، **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص 184.
3- معن خليل عمر، **مرجع سابق**، ص 188.

خاتمة

عملت الأنثروبولوجيا على الغور في ثنايا الشأن الإنساني ووجدت لها مريدين من الرواد الأوائل في العالم وقد جمعت بتوجهاتها كل توجهات العلوم الأخرى لتتفرع منها عدة فروع ومازال البحث عن طريق التراكم المعرفي مستمر لاشتقاق الفروع المعرفية الجديدة التي تتفرع منها، لزيادة الأجوبة عن الأسئلة الإنسانية الكثيرة التي تحتاج إلى توضيح، لقد جاءت الأنثروبولوجيا للكشف عن غموض كبير في الحياة الإنسانية وعملت لأجل ذلك العديد من الدراسات التطبيقية التي اختبرت الميدان فيها واستطاعت بالوصف والتفسير والتحليل والتأويل أن تتوصل إلى التنظير الأنثربولوجي المهم الذي بات يعتمد عليه الإنسان في حياته ،ودخلت الأنثروبولوجيا إلى المجتمع العربي بشكلٍ خجول متضاربة في ذلك مع التفكير الديني والأطروحات الفكرية التي ترى منها تدخَّل في خلق الإنسان ومدعاة لكشف المجتمع لكل قوى استعمارية تحاول استغلاله، ومازالت بحاجة إلى ترسيخ بشكلٍ اكبر بتوسيع الوعي بالمعرفة الأنثروبولوجية وتوسيع الدراسات التي من شأنها أن تسلسل التطور الحضاري العربي والتغييرات التي طرأت عليه وكيفية التعامل مع السمات الحضارية الخاصة به في الوقت الحالي.

قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

الموسوعات والمعاجم:

1- بيار بونت وميشال إيزار، **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، 2006.

2- جان فرانسوا دورتيه، **معجم العلوم الإنسانية**، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي -الإمارات العربية المتحدة، 2009

3- ميشيل مان، **موسوعة العلوم الاجتماعية**، ترجمة: عادل مختار الهواري، سعيد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية– مصر، 1999.

الكتب

4- أحمد أبو زيد، "**لا عقلانية العلم والعلماء: توماس كون ونقد المنهج العلمي**،" العربي، العدد 459، فبراير، 1997.

5- أحمد أبو زيد، **البناء الاجتماعي–مدخل لدراسة المجتمع-**، ج6،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة–مصر، 1965.

6- أحمد أبو زيد، **الطريق إلى المعرفة**، كتاب العربي، منشورات مجلّة العربي، الكويت، 2001.

7- أحمد أبو زيد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1978.

8- أحمد أبو هلال، **مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية** ،المطابع التعاونية، عمان، 1974.

9- أسامة النور، أبوبكر شلابي، **الأنثروبولوجيا العامة– فروعها واتجاهاتها العلمية وطرق بحثها-**، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، طربلس– ليبيا، 2002.

10- اسماعيل قباري، **الأنثروبولوجيا العامة**، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1973.

11- إيفانز بريتشارد، **الأناسة المجتمعية –ديانة البدائيين في نظريات الأناسين-**، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 1986.

12- بن معمر عبد الله، **ميادين الأنثروبولوجيا**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان–الجزائر–، 2020.

13-بيلز رالف وهويجرا هاري، **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة، القاهرة، 1977.

14-توماس هيلاند اريكسن، **مفترق طرق الثقافات : مقالات عن الكريولية**، ترجمة محيي الدين عبد الغني، لمركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012.

15-تيلوين مصطفى، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا** ، دار الفارابي – منشورات الاختلاف، ط1 ، بيروت – الجزائر،2011.

16-جاك لومبار، **مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، ترجمة حسين قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، 1997.

17-الجسماني عبد العال، **علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية**، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1994.

18-جمال معتوق، **الفروع والمداخل النظرية للأنثروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة– مصر، 2016

19-الجيوشي فاطمة والشمّاس عيسى، **التربية العامة**، جامعة دمشق – كليّة التربية، 2002–2003.

20-الجيوشي فاطمة، **فلسفة التربية**، جامعة دمشق، كلية التربية .1987–1988.

21-حسن شحاتة سعفان، دراسات في علم الإنسان، دار النهضة العربية، القاهرة– مصر، 1973.

22-حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، ط1، الاسكندرية، 1988.

23-حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، ط7، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية–مصر، 2010.

24-حسين فهيم، **قصة الأنثروبولوجيا**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.

25-الحصري ساطع، **أحاديث في التربية والاجتماع**، دار العلم للملايين، بيروت، 1985.

26-رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة عبد المالك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت–لبنان، 1967.

27-رالف لينتون، **دراسة الإنسان، ترجمة عبد المالك الناشف**، منشورات المكتبة المصرية، بيروت–لبنان، 1964.
28-روبرت لوي، **تاريخ الإثنولوجيا من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية**، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، 1992.
29-زرقانة ابراهيم، **الأنثروبولوجيا**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.
30-ستروس كلود ليفي، **الأنثربولوجيا البنيوية**، ترجمة : صالح مصطفى ، وزارة الثقافة، دمشق، 1983.
31-سعيدي محمد، **الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها**، دار الخلدونية .2013.
32-سليم شاكر، **قاموس الأنثروبولوجيا** ، جامعة الكويت، 1981.
33-عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية –دراسة ميدانية للجالية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية-**، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، د.س.
34-عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار المعارف، القاهرة– مصر، 1975.
35-عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت. 1971.
36-عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار المعارف بمصر، 1977
37-العربي بلقاسم فرحاتي، **تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان–قراءة في علوم الإنسان الحديث ومقدمات البديل–مقاربات علم الإنسان المتخصص في فهم الإنسان ومعالم تأسيس البديل، قراءة في علم الأنثروبولوجيات الحديث**، ج 3، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
38-علاء جواد كاظم، **الفرد والمصير–بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية-**، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 2011.
39-علي عبد الرزاق حلبي، **دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية–مصر، 1999.
40-علي عبد الله الجباوي، **الأنثروبولوجيا علم الأناسة**، منشورات جامعة دمشق– سوريا، 1997.
41-علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب–علم الأقوام-**، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق–سوريا، 2007.
42-عيسوي عبد الرحمن، **علم النفس في المجال التربوي**، دار العلوم العربية، 1989.

43-عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان"الأنثروبولوجيا"**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق– سوريا، 2004.

44-عيسى محمد طلعت، **مدخل إلى علم الاجتماع**، دار المعارف، بيروت، 1986.

45-فراير هنري ساركس، **علم النفس العام**، ترجمة : ابراهيم منصور، بغداد، 1968.

46- كاظم سعد الدين، **دراسة الانثروبولوجيا المفهوم والتاريخ**، دار الحكمة 2010،

47-كلاكهون كلايد، **الإنسان في المرآة**، ترجمة : شاكر سليم، بغداد، 1964.

48-لبيب الطاهر، **سوسيولوجية الثقافة**، دار الحوار، اللاذقية، 1987.

49-لطفي عبد الحميد، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، دار المعارف، القاهرة، 1979.

50-محمد الجوهري ، علياء شكري ، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، دار المعرفة القاهرة 2007.

51-محمد الجوهري وآخرون، **الانثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2004.

52-محمد الخطيب، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، ط 2، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق–سوريا، 2008.

53-محمد رياض، **الإنسان–دراسة في النوع والحضارة-**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، 1974.

54-محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي المعاصر**، ج1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، د.س

55-محمود عبد الحليم، **التفكير الفلسفي في الإسلام**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968 .

56-مصباح عامر، **المدخل إلى علم الانثروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010.

57-معن خليل عمر، **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2015.

58-ناصر ابراهيم، **الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)**، عمّان، 1985.

59-هرسكوفيتز مليفيل، **أسس الأنثروبولوجيا الثقافية**، وزارة الثقافة، دمشق، 1974.

60-وسام العثمان، **المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– سوريا، 2002.

61- عدنان أحمد مسلم، **الأنثروبولوجيا**، منشورات جامعة دمشق-سوريا، 1992-1993.

المحاضرات والمنشورات:

62-خواجة عبد العزيز بن محمد، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية-محاضرات موجهة لطلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة غرداية- الجزائر، 2014-2015

63-فوزية زنقوفي، **مطبوعة بيداغوجية في مقياس علم اجتماع المؤسسات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس علم الاجتماع (ل م د)** ، جامعة 08 ماي1945، قالمة-الجزائر، 2020-2021.

ب- باللغة الاجنبية:

64- Abraham franis: Modern Sociological theory, Oxford University Press-Delhi

65- André Akoun et Pierre Ansart: Dictionnaire de sociologie, Coll ; Dixionnaire de Robert, édition Seuil, Paris-France, 1989.

66- Barnouw, V Cultural Anthropology , Home wood Illinois. Irwen Inc 1972.

67- Charles-Henri Favrod: L'Anthropologie, Encyclopedie du monde actuel (E.D.M.A), coll, lior de poche, Paris-France, 1977.

68- Gerald Gaillard: Dictionnaire des éthnologues et d'anthropologues, ed Armand, ParisFrance, 1997.

69- Jaques Dumont et Jean- Baptiste Beranian, 1972.

70- Kottak, Phillip , Anthropology: the Exploration of Human Diverty , Mc Grow. Hill INC, New York.. 1994

71- Mauduit , J.A , Manuel D' Ethnographie. Payot, Paris . 1960

72- Nicholson , C , Anthropology and Education , Columbus, Ohio . 1968

73- Robert Deliège: Histoire de l'anthropologie, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006.

74- Turner, Janathan: The structure of sociological theory, the dorcy press, homeword.